د. محمد الشيخ
طبيب شرعي

أسرار الموت العظمى





أسرار الموت العظمى

الكتاب الأول

تأليف

د. محمد الشيخ

تَشكِيل للنَشر والتَوزِيع

إهداء

إلى: أبي مرة أُخرى

هـذه سلسـلة كتبي الثانيـة حبيبـي... أُهديها أيضًا كلّها لك... كي تقـرَّ عينك... سمَّيتها (أسـرار الموت العظمى)... تُـرى هل يروق لك؟

نصحنـي القائمـون علـى النشـر بإهـداء السلسـلة الجديـدة إلـى أحـدٍ غيـرك بعدمـا زيَّـن اسـمك صـدر سلسـلتي الأولـى..

رفضت بعنف..

كيـف أكتـبُ يـا حبيبـي دون أن يكـون اسـمك علـى صـدر نصوصـي؟!

وكيـف يُذكـر المـوت أساسًـا دون أن يختلـط ذكـره بعبـق حضـورك؟!

ثـم إن هـذه السلسـة تخاطـب القلـب والـروح... فكيـف لا تكون أنـت علـى رأسـها؟! وأنـت رجـل الأرواح والقلـوب.. السـهل الليِّـن الهيِّـن الطيِّـع القريـب مـن النـاس والـذي أتـى ربـه بقلـبٍ سـليم...

أيهـا النائـم فـي خشـوع بيـن أبـواب الجنـة وجـدران القبـر.. أشـتاق لـك بعمـق..

أيهـا المقيـم فـي خلـود بيـن أبـواب ضلوعـي وحنايـا القلـب.. متـي نلتقـي ثانيـةً؟!

نفـد صبـري... بينمـا مـا زلـت أبحـث فـي قُبـح هـذه الدنيـا عـن نعمـة الصبـر الجميـل الـذي كان فـي قلبـك منـذ الأزل مكمنـه..

اشتقنا والله...

ريثما نلتقي... أحبك... وأشياء أخرى.

محمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

في هـذه السلسـة بالـذات، أود أن أخبركـم أن تحتفظـوا بكتابـاتي فيهـا، لأن كل مـا قرأتمـوه في حياتكـم السـابقة يتضـاءل هنـا ببسـاطة، لأن هـذه السلسـلة هـي حياتكـم الأبديـة القادمـة، وبوضـوح هـذه السلسـلة هـي خلاصـة مـا تعلمتـه في حيـاتي مـن تمـرغ بـين الجثـث، والتـي عايشـتها لسـنوات طـوال كعابـر مـوتى سـيلقى حتفـه حتـمًا بـين جثتـين، أعـرف أن هـذه السلسـلة قـد لا تحـوز عنـد البعـض شـعبية قصـص المشرحـة الاعتياديـة المتقلبـة في حالـة هيسـترية بـين الرعـب والكوميديـا والموعظـة، التـي سـبق وطرحنـا العـدد الأول منهـا في سلسـلة (والمـوتى يتحدثـون أيضًـا)، ولكنـي أقسـم لكـم سـيأتي يـوم وتكـون كتابـات هـذه السلسـلة كرسـومات دافنـشي تبـاع في مـزادات (كرسـتي) بلنـدن لـكل المقربـين مـن المـوت وبـآلاف الـدولارات، لقـد كذبـوا علينـا يـا سـادة، كذبـوا علينـا حـين أخبرونـا أن المـوت هـو البعبـع الكبـير، بينـما المـوت هـو مجـرد انتقـال لحيـاة أخـرى، مجـرد خـروج مـن سـجن، مجـرد عـودة إلى بيتـك الدافـئ، بعدمـا أنهيـت اختبـار الحيـاة وعرضـت عليك

نتائجك، في انتظار يوم النتيجة النهائية، وإمكانية حصولك على درجات الرأفة، أمَّا الأرواح نفسها تهيم حولنا تمامًا بعد أن غادرت أجسادها للأبد وكل ما سيُذكر لاحقا هنا من علامات حسن وسوء خاتمة تظهر على بعض الأجساد إنما هي كرامة ربانية يرسلها الخالق العظيم لنا، ليخبرنا أن موتهم لم يكن أبدًا نهاية، وأنهم الآن في حال أفضل كثيرًا.

تحلل الأجساد وتعفنها هو الشيء الطبيعي الاعتيادي لجميع المخلوقات، التي أصبحت بعد موتها مجرد جماد رمِّي لا يحتوي على أي لمحة للحياة حتى يأتيها الأمر المطلق من الله للبعث، أمَّا من تُحفظ أجسادهم دون تحلل رغم بقائهم في الظروف الاعتيادية المناسبة، الذين سنستعرض أمثلة لهم لاحقًا، فيحتمل أن يكون بينهم وبين الله سر وعهد، فحرَّم الأرض على أجسادهم، ليبقوا أحياءً جسدًا وروحًا، ولذا ربما هم الوحيدون الذين وصفهم الله تبارك وتعالى بقوله «بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ».

بعد قراءة هذه السلسلة أعدكم أن تحبوا الموت، ستطمئن قلوبكم، سيطمئن المرضى، والعجائز وكبار السن، سيعرفون أنهم قد خدعونا وأن الموت ليس مرعبًا أبدًا، إنه مجرد انتقال... فقط اعملوا لهذا اليوم بجد، واضمنوا

لأنفسكم لقاءً مريحًا، وارتقاءً طيبًا، اضمنوا نفقًا مبهرًا، وحبًا للنور الأعظم، زيِّنوا حياتكم بأعمالكم، لا تؤذوا أحدًا أبدًا، كلنا كبشر في رحمة الله إلا أولئك الذين آذوا الناس، وعاثوا في أرض الله فسادًا، عليكم أنفسكم، لا تؤذوا أحدًا، انزعوا من قلوبكم الحقد والغل والحسد، وأحسنوا ظنكم بربكم أضمن لكم ارتقاءً مريحًا، ولكن يتعين علينا هنا الإقرار بأنه رغم كل ما سيسرد هنا من معلومات فإننا لا نعرف سوى القليل للغاية، ورغم مرور خمسة آلاف عام على ظهور علم الطب حتى الآن، فكل ما نستطيع فعله كأطباء هو إخبارك بكيفية موت الإنسان غرقًا، أو بسبب أزمة قلبية مثلًا، لكننا لا نزال عاجزين عن توضيح كيفية الوفاة في أكثر من خمس وتسعين بالمئة من الحالات، ولذا أفضل ما يمكنني فعله هو الوصف الدقيق، لما يحدث للمتوفى وقت الاحتضار، أمّا الأرواح فبرغم كل ما عرفه العلم عنها وما سيدوَّن هنا في هذه السلسلة، ستبقى ماهيتها لغزًا محيِّرًا لا إجابة له، ولن نصل أبدًا لحقيقتها الكاملة، كما قال الله تعالى «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا» الكهف (٨٥).

أردت فقط أن أختم مقدمة هذه السلسلة بأمرين غاية في الأهمية:

الأمر الأول: الموت

قديمًا كنت أشعر أحيانًا برهبة وقدسية للموت، كنت أريد تأجيله قدر الإمكان.. كنت أقول لنفسِي دائمًا، الحياة شيءٌ آخر... وليست تلك التي نعيشها... ولا أريد أن أموت دون رؤية ذلك الشيء الآخر...

في لحظة تعاملت مع الموت عن قرب.. في لحظة نامت «ميّوش» نومتها الأبدية... وتبعها أبي في شموخ يشبهه... في لحظة صادقت الجثث.. أدركت أن في الموت سر الحياة.. وأن الموت هو ذاته ذلك الشيء الآخر الذي كنت أتمنى رؤيته طوال الوقت...

لا تخافوا الموت أبدًا... أبدًا

الذين يخافون من الموت يموتون مرات عدة قبل أن يأتي أجلهم.. والذين لا يهابون الموت يموتون مرة واحدة عندما يأتي أجلهم... أما الذين يحبون الموت لا يموتون أبدًا...

ذاك أن موتهم حياة...

أنهم يؤمنون أن الدنيا كلها ليست سوى أول صفحة في أول فصل من الرواية.. وأن الموت ليس نهاية القصة أبدًا... إنما بدايتها...

وليس معنى حب الموت أن تكره الحياة.. أن تعيش مهزومًا وذليلًا... أن تموت داخل جلدك يوميًا...

على النقيض...

يجب أن تحب الحياة كي تحب الموت

ويجب أن تعرف كيف تحيا شامخًا.. لتتعلم كيف تموت شاهقًا...

هذه خلاصة حياتي... هذه أسرار الموت العظمى أضعها بين أيديكم... افهموها... أتقنوها... رافقوها.. وصادقوها..

حتى حين يأتي موتكم... تكونوا على علم تام بكل خطوة قادمة.. لا تتفاجؤوا بشيء أبدًا... كونوا أعلم بالموت من الموت نفسه.. فاجئوه قبل أن يفاجئكم.. معرفتك بأسراره ستمنحك في تلك اللحظة الشموخ الذي يليق بك.. ستمنحك رفعة ومهابة.. ستمنحك موتًا جميلًا...

لكن... احذر.. ✋

هذه الأسرار ستمنحك كل الصفات الجميلة... لكنها لن تمنحك الصفة الأهم.. الصفة التي تحتاجها أكثر من أي شيء... السكينة

وحده عملك يمنحك السكينة...

أعرف أنكم جميعًا ستتقنون هذه الأسرار تمامًا.. وإتقانها سيمنحنا جميعًا لحظات موت شامخة متشابهة... لكنها لن تمنحنا أبدًا نفس المصير...

مصيرك سيمنحك إياه عملك...

النفس البشرية هي وعاء الذاكرة لأفعالك...

والقلب هو وعاء الذاكرة لنواياك...

خير نفسك يفتح لك بابًا للجنة...

وشر نفسك يفتح لك بابًا للنار...

وأن تأتي الله بقلب سليم ونفس سوية... تجد قصور الجنة ذاتها... راودتك عن نفسها.. وغلّقت عليك أبوابها... ثمّ قالت «هَيْتَ لَكَ».

فاللهَ اللهَ في النوايا.

الأمر الثاني: القرآن الكريم

والله إن هذا الكتاب مفجر العلوم ومنبعها، ودائرة شمسها ومطلعها، أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شيء،

وأبان فيه كل هدى وغي، فترى كل ذي فن منه يستمد... وعليه يعتمد... هو ينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره...

قال سهل ابن عبد الله: «والله لو أُعطي العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم، لم يبلغ نهاية ما أودع الله في آية من كتابه»... فالزموه، فو الذي نفسي بيده لا تنقضي عجائبه..

للأسف نحن لا نعلم قيمة الكتاب الذي بين أيدينا.. لا ندرك معنى كتاب خطَّه الخالق العظيم بيمينه... وأرسله لعباده.. لهذا لا تتعجب من هذه الحرب على الإسلام في كل مكان في العالم... في كل مكان.. يحاربون المسلمين في فلسطين وبورما والإيجور في الصين ومسلمي الهند وليبيا واليمن وكشمير باكستان والبوسنة والشيشان... وحيثما وجد الإسلام في الأرض.. لا تصدق أبدًا أنها حرب على الموارد والبترول.. أبدًا... لقد زرت أمريكا وأوروبا، وبها موارد وبترول يكفي العالم كله لألف سنة قادمة... لو كانت حرب موارد لما استوطن الصهاينة فلسطين الفقيرة... إنها حرب عقيدة بحتة.. حرب خالصة على الإسلام وأهله. لأنهم يعرفون أنه

الحق من ربهم.. وتأبي نفوسهم.. وأكثرهم كارهون..

فالحمد لله الذي أكرمني بحفظه.. الله أسأل لأبي ثواب كل حرف قرأته وكل لفظ تلفظت به من يوم بدأت قراءته إلى أن أموت... احتفوا بهذا الكتاب.. فو الذي نفسي بيده لا تنقضي عجائبه وإنه يعلو ولا يُعلى عليه...

أما والله إني أعصاكم لله.. وأكثركم ذنوبًا له... وخجلا منه... ولكن بيني وبين هذا الكتاب علاقة خاصة أسأل الله أن يكون فيه نجاتي وشفاعتي أمام الله يوم القيامة.

الزموه... الزموه... الزموه...

وربُّ محمّد... ذلك الكتاب لا ريب... فيه هدى للمتقين.

د. محمد الشيخ



السر الأول

عندما يكون الموت قريبًا

هل يشعر الميت مُسبقًا باقتراب أجله؟!

غالبًا ما استفز أفكاري شكل الموتى فور مفارقتهم للحياة، وكأنهم نائمون، وقد ارتسم تعبير محايد في الأغلب على محيَّاهم، وكنت أسأل نفسي بإلحاح: بماذا كانوا يشعرون عند اقتراب آجالهم، هل كانوا يشعرون أنهم سيموتون حقًّا؟! بدا السؤال أكثر إلحاحًا مع تزايد عدد الموتى في حياتي، من أقارب وأصدقاء وأحباء وبحكم العمل، وبدأت في مراجعة مواقفهم الأخيرة معي ودراسة كلماتهم الأخيرة وما قد تحمله من أوجه وإشارات، وكان الأمر مذهلًا حقًّا،

كلهم بلا استثناء يحمل حديثه قبل موته لكنة ما لم تكن موجودة أبدًا في حياته الاعتيادية، بدأت بهوس جمع المكالمات الأخيرة المسجلة لأشخاص ماتوا فور إجرائها، كلهم بلا استثناء قد أجمع الشهود والمعارف أنهم لم يكونوا في وضعهم الطبيعي في هذه المكالمة، لم يكونوا في حالتهم المزاجية المعتادة إمَّا كانوا أكثر تفاؤلًا وإشراقًا، أو أكثر تشاؤمًا ويأسًا، وصف المعارف المكالمات بأوصافٍ عدَّة، لكن الثابت في كل أوصافهم أنها أبدًا لم تكن مكالمة طبيعية اعتيادية لذات الشخص! أبدًا!

بعض المكالمات التي أجراها الموتى قبل وفاتهم ربما

كانت هي الأولى من نوعها التي يتصل بها الميت بأحد الأشخاص بعينه منذ عشر سنوات أو أكثر، تخيَّل!

لم يتصل به منذ عشر سنوات رغم أنه كانت له معه علاقة طيبة للغاية، وفجأة، وقبل موته بدقائق، تذكر أن يُجري مكالمة لهذا الشخص بالذات، وكأنها كانت رسالة توديع حياة، أو ربما وعد بلقاءٍ قريب.

بدأت أجمع الشهادات الموثقة من كل حدبٍ وصوب، بدأت أستمع للمكالمة الأخيرة المسجَّلة وأقارنها بمكالمات أخرى، حتمًا فارق شاسع بين الطريقتين في الحديث، هناك شعور غامض ما، تشعر أن الميت كان في كل جملة على وشك قول شيء ما لكنه لم يَقُله حقًّا وتراجع في آخر لحظة، على مدار المحادثة تشعر وكأنه أوشك على أن يقول شيئًا ما ثم صرف النظر عنه... رغبة غريبة تشعر بها وأنت تستمع للمكالمة الأخيرة لشخص مات بعدها بدقائق، تُرى هل يشعر الموتى باقتراب آجالهم حقًّا؟ ظللت لسنوات أسأل نفسي عن هذا الأمر، قرأت آلاف الأبحاث والدراسات، ووفقني الله أخيرا للوصول للصدمة العلمية الأولى التي ستقابلونها في هذا الكتاب، أو قُلْ سر الموت الأعظم رقم (١)... نعم... يشعر الموتى بوضوح باقتراب آجالهم.

علميًا ثبت أن الحياة عملية توقيتية، وأن الخلايا كقنابل التفجير ذاتية التوقيت بمجرد حلول وقت انتهاء صلاحيتها المضبوط تقنيًا من قِبل الخالق العظيم، يحدث للخلايا ما يشبه الانفجار الذاتي، وتبدأ عملية موت مُسلسل وتوقف تام للأنشطة الحيوية بها، يظل ينتقل بسرعة البرق من خلية إلى أخرى حتى يأتي على الجسم بأكمله، وموعد التفجير الذاتي سُجِّل بشفرة غيبية داخل المادة الوراثية للخلية نفسها، وبعد عمر طويل، وعندما تستشعر الخلية أنها على وشك الموت النهائي فعلًا، تقوم بإرسال العديد من الرسائل التحذيرية لصاحبها.

لا ننكر أيضًا أن شيب الشعر وانحناء الجسد وغيرها هي رسائل تحذيرية لكنها رسائل على المدى الطويل، أمَّا ما نقصده هنا هي الرسائل الوقتية المباشرة التي ترسلها الخلايا عند اقتراب الأجل تمامًا.

وبعد مطالعة العديد من الأبحاث والمشاركة في دراسة آلاف الحالات، ثبت لي بما لا يدع مجالا للشك أن الموت يبدو بمثابة عملية توقيتية تبدأ فعليًا قبل أسبوعين على الأقل من لحظة مفارقة المرء لحياته، وخلال هذه الفترة تختلف الرسائل التحذيرية وتنقسم إلى قسمين، القسم

الأول مـن هـذه الرسـائل يكـون عضويًـا، حيـث نجـد تراجـع الوضـع الصحـي لمـن يوشـك عـلى الوفـاة، نجدهـم أصبحـوا أكـثر خمـولًا وتقـل فـترة بقائهـم مسـتيقظين، مـع تراجـع غـير معتـاد في تنـاول الطعـام والـشراب، وهـذه المرحلـة لا تحـدث لـكل الأفـراد ولكنهـا تحـدث لنسـبة تقـارب الخمسـين بالمئـة، خاصـة لمـن كانـوا أساسًـا يعانـون مـن أمـراض مزمنـة قبيـل وفاتهـم، وكخـبراء نقـول إن هـؤلاء دخلـوا مرحلـة الاحتضـار النشـط، ويسـود اعتقـاد علمـي أن هـؤلاء أمامهـم أيـام معـدودة قبـل الرحيـل، لكـن لا ينبغـي أبـدًا أن ننكـر أن هنـاك مـن يمـرون بـكل هـذه المراحـل خـلال يـوم واحـد فحسـب، القسـم الثـاني مـن الرسـائل هـي الرسـائل النفسـية وهـذا هـو موضـع دراسـتنا وهـذا هـو سر المـوت الأعظـم صاحـب الرقـم ١، علميًّـا وعمليًّـا يشـعر الميـت باقـتراب أجلـه، ربمـا لا يكـون الشـعور صريحًـا ولكـن في حكـم المؤكـد أنـه قبـل وفاتـه بأسـبوعين عـلى الأقـل يستشـعر أن هنـاك تغـيرًا مـا جذريًـا في كيميـاء جسـده، وأنـه بصـدد الدخـول في موقعـة مـا، يكـون الموشـك عـلى الوفـاة في حالـة مـن اليقـين أن هنـاك شـيئًا صاعقًـا سـيحدث لـه قريبًـا، ووحدهـم مـن أراد اللـه لهـم الهدايـة هـم مـن يترجمـون هـذه الإشـارات إلى اقـتراب الأجـل، ولا يتعاملـون معهـا عـلى أنهـا تغـير نفـسي طـارئ، فيبـدؤون في إعطـاء الإشـارات أيضًـا لمـن حولهـم

بأنهم أوشكوا على الرحيل، يصبحون أكثر طيبة وأقل عدوانية، وأعلى روحانية وأكثر هدوءً وتقبلًا لقرار جسدهم الأخير، أمّا البعض الآخر فلا يعطون لهذه الإشارات ترجمتها الحقيقية فتجدهم في حالة دائمة من العصبية والتوتر والقلق الزائد والأرق، تجدهم يطالبون بإصرار العلاج النفسي، ويبدؤون في الكثير من الشكاوى العضوية لجذب انتباه الآخرين إليهم والإحساس بوجودهم وأهميتهم، وكان هذا رأس الدراسة وسؤالها الفاصل، لماذا يشعر بعض الناس بالاستقرار والسكينة في فترة الاحتضار النشط في حين يشعر الآخرون بالقلق والتوتر؟!

لماذا ترجم بعض الناس إشارات الخلايا بطريقة صحيحة، ولم يترجمها الآخرون بشكل قويم؟!

وفق دراسات عالم الرعاية التلطيفية سويدي الجنسية (يوران) وفريق عمله بالسويد فإن سلوك الحياة للشخص مرتبط ارتباطًا وثيقًا بترجمة الإشارة الأخيرة، فالذين كانوا يعيشون حياة مادية واجتماعية متقلبة وضعيفة روحيًا، أو عملوا في أعمال استهلكت أوقات كبيرة من حياتهم وكانت نسبة المخاطرة فيها عالية، تكون الإشارة الأخيرة للخلايا عبارة عن تنبيه من المخ للغدة الكظرية فيزداد

نشاطها تدريجيًّا وتبدأ في إفراز كميات متزايدة من مادتيّ (الأدرينالين) و(النورادرينالين) وهما نواقل عصبية تسبب القلق والتوتر وزيادة معدل ضربات القلب وتقلص العضلات، ويتم إفراز هذه المواد بزيادات تدريجية طفيفة فتجد الموشك على الوفاة بدأ قبل أسبوعين على الأقل في حالة من القلق غير الاعتيادي يزداد إلى توتر واكتئاب وأرق وشكاوى عضوية تصل إلى قمتها في اقتراب الوفاة ودخول مرحلة الاحتضار الحتمي النهائي، أمَّا الذين عاشوا حياة اجتماعية وروحية هادئة على النقيض تمامًا تجد الإشارة الأخيرة للخلايا عبارة عن إفرازات تدريجية من المخ لمادة (الأندورفين) التي تبعث على الهدوء والسعادة والراحة النسبية، والعجيب أن بعض الموشكين على الوفاة الذين كانوا يتعاطون مسكنات الألم، التي هي علميًّا تمنع إفراز الأندورفين، إلا أن أجسادهم على غير المعتاد وغير المفهوم لم تمنع أبدًا الإطلاق التدريجي لمادة (الأندورفين) من المخ فتجدهم أصبحوا أكثر هدوءً واستقرارًا نفسيًّا، وتطغى عليهم حالة من الرضا بكل شيء والقناعة بما قدموه في حياتهم والاستسلام الطاغي للصدمة المجهولة القادمة، إذن.. الميت يتم تنبيهه باقتراب أجله، وهذا التنبيه عبارة عن رسائل كيميائية تفرزها خلايا بعينها، كانت لها وضع

السيطرة على الجسم وقت الحياة.

ونحن من نملك قرار ترجمة تلك الإشارات إما بشكل صحيح أو بشكل خاطئ، فإمّا نوقن بأنه اقتراب الأجل وإمّا نتوهم بأنها نتيجة ضغوط نفسية وتوترات، وهذه الرسالة تختلف من شخص لآخر، فالطيبون الذين عاشوا حياة هادئة وروحانية يقوم المخ بإفرازات تدريجية لـ(الأندورفين) قبيل الوفاة وهو مادة كيميائية تسبب الشعور بالهدوء والرقيّ والرضا والاستقرار النفسي والاستعداد لمواجهة الغامض القادم برضا تام، أمّا البائسون الذين عاشوا حياة مادية متوترة غابت عنها الروحانية والخضوع للخالق، تكون الإشارة عندهم عبارة عن إفراز تدريجي لمادتي (الأدرينالين) و(النورادرينالين) وهما ناقلان عصبيان يسببان الكثير من التوتر والقلق والأرق وعدم الاستقرار النفسي والخوف الزائد من القادم الغامض، وبالتالي صار يقينًا أن جسدك يخبرك باقتراب أجلك وأن وحدك من يمكنك ترجمة الرسالة بشكل صحيح أو خاطئ.

أضف إلى ذلك دراسة أجريت عام ٢٠١١؛ أنه ولسبب غير معلوم وُجد أن مادة (السيروتونين) المسببة للسعادة أيضًا زاد إفرازها بواقع ثلاثة أضعاف في أدمغة بعض

الأفراد أثناء احتضارهم، بينما ظلت النسبة على طبيعتها لدى أفراد آخرين، لكن ما استوقفني حقًّا دراسة لجامعة (أكسفورد) الشهيرة التي قيل فيها نصًّا إن المعتقدات الدينية تلعب دورًا كبيرًا في التغلب على آلام الاحتضار، حاولت مرارًا السعي وراء الذين أجروا هذا البحث لمعرفة تفسير واضح لهذه الجملة، التي رغم أهميتها أتت في نهاية هامشية للبحث وكأن هناك تعمُّدًا ما لعدم ذكرها، لكن الضمير العلمي أجبرهم على ذلك، ورغم ذلك لم أستطع الوصول لتعقيب مناسب منهم، ولكن ما الذي يمكن أن يؤدي أيضًا لشعور المرء بالسعادة والنشوة عند احتضاره بخلاف تدفق (الأندروفين) و(السيروتونين)؟... ثبت علميًّا أن الكيفية التي تتوقف بها أجهزة الجسم واحدًا تلو الآخر تختلف لسبب غير معلوم من شخص لآخر، وأن الترتيب في توقف هذه الأجهزة يؤثر على الدماغ تمامًا، ويتحكم في الحالة النفسية لحظة الاحتضار.

روت العالمة الأمريكية في مجال التشريح العصبي (جيل بولت تايلور) كيف شعرت بالنشوة والسكينة والسعادة القصوى خلال تجربة اقتربت فيها من الموت بعد توقف الجانب الأيسر من مخها عن العمل بسبب إصابتها بجلطة وهو النصف المسؤول عن التفكير المنطقي والعقلاني،

وبدأت دراسة هذا الأمر وثبت لها لاحقًا أن الترتيب الذي تتوقف به أجهزة الجسم يؤثر على حالتك النفسية لحظة الاحتضار، فهناك ترتيب معين قد يشعرك بالسعادة القصوى وترتيب آخر يشعرك بالقلق والتوتر، والمذهل أنه ثبت أن النصف الأيمن من المخ هو آخر ما يتوقف فعليًا عن العمل في المخ، وأن توقفه هذا يشعر المتوفى في كل الحالات أنه يقترب من قوة أعلى وأكثر سموًا.

ويقول مُجري الدراسة ـ وهو كاثوليكي متدين ـ أن دراسته لا تعني أن المتدينين بوجه عام يمرون بلحظات أكثر راحة وربما بهجة عند الوفاة مقارنة بسواهم، ويقول إنه رأى قساوسة وراهبات وقد ارتسم قلق بالغ على وجوههم خلال اقترابهم من لحظة مفارقة الحياة، وقال نصًا إن ذلك ربما يعود إلى شعورهم بالقلق بشأن سلامة سجلهم الأخلاقي وخوفهم مِمَّا سيواجهونه في العالم الآخر، ويقول أيضًا: وليس بمقدور أحد أن يعرف مُسبقًا من سينعم بوفاة هادئة من عدمه، وأحسب أن بعض من حضرت لحظات احتضارهم لم يشهدوا تدفق الأندروفين في الجسم خاصة من الشباب، الذين كان من الصعب عليهم تقبل فكرة أنهم يموتون بالفعل، وهو ما سنستعرضه في هذا العدد لاحقًا، إذ كانت لديهم عائلات شابَّة يوشكون على تركها، لذا لم يهدأ

هـؤلاء أو يسـتقروا نفسـيًّا عـلى الإطـلاق خـلال مراحـل الانتظـار،

ويكمـل: أمَّـا مـن حـضرت وفاتهـم ممـن مـرُّوا بمراحـل راحـة أو سـعادة جامحـة خـلال اقترابهـم مـن لحظـات النهايـة فكانـوا بوجـه عـام أولئـك الذيـن تقبلـوا فكـرة المـوت وحتميـة حدوثـه في نهايـة المطـاف، خاصـة المـرضى الذيـن عانـوا كثـيرًا في الفـترات الأخـيرة مـن حياتهـم، وأذكـر هنـا سـيدة كانـت تعـاني مـن سرطـان المبيـض وتعجـز عـن تنـاول الغـذاء بشـكل طبيعـي مِـمَّا دفـع الأطبـاء لحقنهـا بالعنـاصر الغذائيـة الضروريـة لهـا عـبر الوريـد، وهـؤلاء المـرضى يصبحـون عـادة عُرضـةً للإصابـة بالتهابـات خطـيرة، ومـع اقـتراب موتهـا تغـيَّرت شـخصيتها تمامًـا، باتـت تشـع سـلامة وسـكينة بشـكل واضـح، وماتـت في طمأنينـة غـير عاديـة، ومـا زلـت حتـى الآن أذكـر حديثهـا لي عـن جـمال مشـهد غـروب الشـمس، دائمًـا مـا يبقـى أشـخاص مثـل هـؤلاء في ذهنـي ويدفعوننـي عـلى الـدوام للتفكـير في حيـاتي وكل مجرياتهـا.

نخـرج مـن هـذا البـاب أن عمليـة المـوت تتـم عـلى مرحلتين؛ المرحلـة الأولى أو مـا نسـمِّيها الاحتضـار النشـط، التـي تتحـضر فيهـا الخلايـا لقفزتهـا الأخـيرة، بعدمـا تستشـعر اقـتراب موعـد تفجيرهـا الـذاتي وأجلهـا، فتبـدأ بإرسـال الرسـائل التحذيريـة

الكيميائية للمتوفى على مدار فترة تقارب الأسبوعين على الأقل، قبل الدخول في المرحلة الثانية وهي مرحلة الوفاة الفعلية أو مرحلة الاحتضار الحتمي النهائي، ويشهد المتوفى في هذه الفترة بين المرحلتين تغيرًا ملموسًا وواضحًا في شخصيته قد يكون تغيرًا إيجابيًّا أو سلبيًّا وقد يقلب شؤون حياته كلها رأسا على عقب.

وربما بهذا التصنيف وجدت تفسيرًا أكثر ملائمة لقول الله تعالى (هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ) فتشير الآية الكريمة إلى وجود أجلين؛ أجل.. وأجل مسمًّى. وقد اختلف العلماء في تفسير الآية فقال بعضهم إن الأول هو الموت والثاني هو القيامة، وهذا مردود عليه بحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «إذا مات ابن آدم قامت قيامته»، فالموت والقيامة الهدف منهما واحد وهو معرفة المتوفى بمصيره النهائي والذي يبقى في انتظاره حتى يوم الدين. وقال بعضهم إن الأجل الأول هو النوم والثاني هو القيامة، وهذا أيضًا مردود عليه بقوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ). وهي آية تؤكد بما لا يدع مجالًا للشك أن النوم ليس أجلًا،

وأن الأجل المسمى يسبق يوم القيامة، وبالتالي ازددت يقينًا بأن قوله تعالى: أجل.. وأجل مسمى، أن الأجل الأول هو بدء مرحلة الاحتضار أو هو عملية الاحتضار النشط، التي يصبح فيها الموشك على الوفاة قريبًا جدًّا من الموت أو على وجه الدقة ميت يمشي على الأرض، والأجل المسمَّى هو لحظة التفجير الذاتي للخلايا وحدوث عملية الاحتضار الحتمي النهائي وخروج الروح بالكلية من الجسد (مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ).

حسنًا... يشعر الميت إذن باقتراب أجله، وهذا هو سر الموت الأعظم الأول، فبماذا يشعر أثناء موته وبعد موته؟! هذا ما سنعرفه لاحقًا.



السر الثاني

هل يسمع الميت ويشاهد؟

هـل يسـمع الميـت خـبر إعـلان وفاتـه؟! هـل يشـاهدنا ونحـن حولـه ننعيـه ونبكيـه؟!

ربمـا لـو قلنـا هـذا قبـل العـام ٢٠١٩ لاعتـبره النـاس ضربًـا مـن الجنـون.. بـل وربمـا يتهمونـك بالإلحـاد...

لكن ثبت أخيراً...

الميـت يسـمع بوضـوح تـام نبـأ وفاتـه... يسـمع البـكاء والنحيـب.. يسـمع الدعـوات وكلـمات الـوداع.. بـل ولـو كانـت عينـاه مفتوحتـين حينهـا فمـن المؤكـد أنـه يرانـا أمامـه بـكل وضـوح...

فجـرت جامعـة سـتوني بـروك للطـب ومقرهـا نيويـورك واحـدة مـن أكـثر قنابـل علـم مـا بعـد المـوت جنونًـا وإثـارة... ففـي دراسـة علميـة هـي الأحـدث والأكـثر دقـة.. تبـين لكبـار الباحثـين فيهـا أن المـخ يتوقـف عـن العمـل بمجـرد الوفـاة.. أو بعدهـا بدقائـق... وهـذا كان متعـارف عليـه منـذ زمـن.. لكـن الجديـد في الدراسـة هـو أنهـا أثبتـت أن توقـف المـخ يكـون بنسـبة تقـارب ٩٥ بالمئـة.. تشـمل كل مراكـز رد الفعـل والمراكـز الحيويـة الرئيسـية كالتنفـس والنبـض والحركـة وغيرهـا... لكـن مراكـز السـمع والإبصـار عـلى وجـه الدقـة تسـتمر في إعطـاء

إشارات لفترات طويلة بعد الوفاة تجاوزت بضع ساعات.. نفس الإشارات التي تعطيها المراكز نفسها للشخص الحي... الميت يسمعنا حوله بكل وضوح.. يرانا حوله بجلاء تام.. لكنه أصبح حبيس نفسه.. انعدمت عنده الحركة وردود الفعل... لا يستطيع الرد عليك.. لا يستطيع الحركة تجاهك... لكنه يراك ويسمعك تمامًا كما لو كان حيًّا... مذهل!

أثناء قراءة البحث.. ومع كل كلمة وإثبات... يحضرني موقف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مع قتلى المشركين في بدر حين جُمعت أجسادهم وأُلقيت في القليب... ووقف عليهم صلى الله عليه وسلم ينادي: «يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة، ويا أمية بن خلف، ويا أبا جهل بن هشام.. هل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقًّا».

فقال عمر: يا رسول الله أتنادي أقوامًا قد جيفوا؟!

فقال صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لي منهم... غير أنهم لا يجيبون».

أشهد أنك رسول الله ❤

لكن... هل يري الميت من حوله فقط؟!

أم يرى أشياء لا نراها أبدًا...

في بحث من جامعة ميتشيجان (University of Michigan) تؤكد الدكتورة (Jimo Borjigin) أن الإنسان قبيل الموت بلحظات يرى أشياء مجهولة! وعندما قام فريق البحث بمراقبة نشاط الدماغ لدى عدد من البشر لحظة الموت وجدوا نشاطًا غير عادي في المنطقة البصرية من الدماغ!

لقد سجل العلماء من هذه الجامعة إشارات بواسطة الأقطاب الكهربائية لقياس تقلُّبات الكهربية في الدماغ (Electroencephalogram EEG) صادرة من عدد من البشر خلال الموت، وتبين أن نشاطًا زائدًا في منطقة الإبصار في الدماغ يدل على أن الميت يرى أشياء مذهلة تؤدي لحدوث هذا النشاط، ولكن لم يتعرف العلماء حينها على نوعية الصور التي يراها من يشرف على الموت.

وتبين من صور المسح بالرنين المغنطيسي الوظيفي نشاطًا زائدًا في منطقة الإبصار، مما يدل على أن الكائن الذي يشرف على الموت يرى أشياء غريبة لحظة الموت.

ما نوعية الأشياء التي يراها الميت... أجابتها دراسة

لاحقة لجامعة ميتشيجان الأمريكية ذاتها... والتي أكدت بشكل تام أن إشارات مركز الإبصار في المخ لحظة الاحتضار تكون بشكل أقوي بكثير جدًّا من الإشارات الطبيعية.. وتقارب الإشارات التي يعطيها مركز الإبصار في المخ حين التعرض لوميض قوي جدًّا... يبدو أن الميت يري حينها أشياء عالية الإضاءة بشكل غير طبيعي... يراها بوضوح وجلاء تام يفسره الإشارات القوية التي يعطيها مركز الإبصار في المخ بأن هناك موجات ضوئية عالية القوة والوضوح و... فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد..

أشهد أن هذا كلام الله❤

عند هذه النقطة بالذات... فبصرك اليوم حديد... لا تفسير علمي إطلاقًا لنوعية هذا الوميض... حاولت مرارًا البحث عن دراسات مشابهة.. لم أجد... كنت أريد ـ لأسباب شخصية ـ مقارنة قوة الوميض فيها بين أشخاص من ديانات وثقافات متعددة.. لكن للأسف.. أبحاث ما بعد الموت محدودة جدًّا ولا يصلنا منها إلا القليل... وهكذا أنا دائمًا... عندما يعجز العلم عن توضيح شيء ما... فتوضيحه المؤكد في كتاب الله... فلنرى هذا الوميض من جانب ديني إذن... ماذا يكون...

يبدو أن هذا الوميض، المصحوب بإشارات قوية جدًّا لمركز الإبصار في المخ حين الاحتضار، هو لظهور كائنات نورانية عالية الإضاءة جدًّا... بشكل لا يمكن للكائن الحي العادي أن يراها، ولكن لا يراها إلا من أصبح بصره اليوم حديد...

يقول الحق: «وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ».

رُسُلُنا... هناك وفد على ما يبدو جاء لاصطحابك إلى عالمك الآخر.. ويبدو أن هناك حوارًا ما بينهم يختلف باختلاف الميت... فمثلًا:

للظالمين... تقول لهم الملائكة وهم في حالة استسلام تام: «وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ».

بينما للطيبين يدور هذا الحوار: «الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ».

إذن يدور حوار ما بين الكائنات عالية النور والإضاءة وبين الميت.. أو على وجه الدقة نفس الميت... أثناء احتضاره.. ولذا كان لا بد أن يحتفظ الميت بخواص السمع والإبصار إلى حين... رائع!

أهل البيت لا يزالون في العالم المادي يرون فقط الجسد المادي المسجى أمامهم على فراش الموت، أما نفس الميت، فقد قطعت علاقتها بعالمنا وبدأت تدخل عالم البرزخ... أصبحت ترى على الحقيقة عالم البرزخ... العالم الأثيري... وتخاطب الملائكة عيانًا.

أهل الميت لا يرون الملائكة أو نفس الميت لحظة دخولها العالم الأثيري، والسبب أننا ما دمنا سجناء في هذا الجسد المادي وفى هذا العالم المادي فلا يمكن أن نرى العوالم الأخرى الأثيرية التي تتداخل في عالمنا وفى نفس المكان.

هل فكرتم يومًا في موجات الراديو؟!

كيف تخترق كل هذه المسافات والمباني والحوائط والجدران وتُترجم بوضوح على هيئة صوت بمجرد لفة بسيطة لزر الضبط؟!

لكل ذرة على وجه الأرض معدل دوران ثابت وموجات ثابتة...

والثابت علميًا أن ذرات المادة الأرضية تدور بسرعة تتراوح بين ٤٠٠ ألف مليون دورة إلى ٧٥٠ ألف مليون دورة في الثانية الواحدة...

فإذا كانت معدلات الدوران تتراوح بين هذه السرعات يمكننا بوضوح أن نراها ونشعر بها...

أما ذرات العالم العلوي الأثيري فإنها أسرع دورانًا وبهذا تخرج عن المستوى الاهتزازي لعالمنا المادي ولا نستطيع أن نراها، ومن العالم غير المرئي لنا الجن والشياطين والملائكة والنفس البشرية بعد الموت وفى حالة النوم.

وقد دل علم الميكانيكا الموجية على أن الأساس في تداخل الأجساد أو عدم تداخلها يرجع إلى اختلاف المستوى الاهتزازي لهذه الأجساد أو تطابقه، فإذا كان المستوى الاهتزازي واحدًا لانتمائهما إلى نفس العالم فإن تداخلها يكون مستحيلًا، فالإنسان بجسده الأرضي لا يستطيع أن يخترق الجدران لأن مجال المستوى الاهتزازي بينها واحد.

أما إذا اختلف المجالان فإن التداخل يكون طبيعيًا، وعلى ذلك فإن وجود جسمين «أحدهما أرضى والآخر سماوي» متداخلين وشاغلين مكانًا واحدًا في آن واحد يعتبر ظاهرة

طبيعية يؤيدها العلم. وجهاز الراديو أبرز مثال لذلك، فالكون ممتلئ بموجات لاسلكية تخترق الجدران، وهي في نفس الوقت متداخلة لا يحس بعضها ببعض ولا يؤثر بعضها على بعض، وكلها تتخلل جهاز الراديو، فإذا استقر مفتاح الراديو على موجة معينة التقطها دون أن يعوقه وجود موجة أخرى في نفس المكان ذات اهتزاز أو ذبذبة مختلفة.

الإنسان إذن يعيش في عالمين متداخلين ولكل منهما مستوى اهتزازي يغاير الآخر. ويتداخل الجسمان «الجسد الأرضي والنفس»، والموت هو انفصال النفس نهائيًّا عن ذلك الجسد المادي وكل عوالم المادة التي نراها الآن بأعيننا. والعين البشرية لا ترى كل شيء يقع في مجال الرؤية أمامها،

يقول تعالى: «فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩)» الحاقة.

ربما يكون هذا كلامًا علميًّا جامدًا... لكن المؤكد فيه والثابت علميًّا أن الروح كمخلوق إيثيري بخروجها من الجسد المادي الأرضي ووقوفها عند رأسه أصبح بإمكانها رؤية أمثالها من الكائنات الإيثيرية من ملائكة وأرواح عيانًا بيانًا.. بل والدخول معهم في حوار كامل.. بينما يرقد الجسد

الأرضي في استسلام تام يستمع ويرى منتظرًا لقرار مصيري سيحسم كل حياته القادمة...

الموت إذن كما تقول دراسة جامعة ستوني بروك هو عملية كاملة من التفاعلات التي تحدث في جسم الإنسان.. عملية فيسيولوجية تشبه تمامًا الحياة، ومع قرب موت الإنسان يبدأ معدل نفسه في التباطؤ، كما يضعف معدل ضربات القلب لديه، ويبدو الشخص قبل وفاته شاحب اللون، وذلك راجع إلى انخفاض ضغط الدم، ويصاب الميت ببرودة في الأطراف وتغير لونها إلى اللون الشاحب، جفاف الحلق، ضعف ردود الأفعال، نقص الاستجابة... وكأنها حالة مشابهة تمامًا لحالات السُّكْر التام والتسمم الشديد جدًّا بالكحول... وربما من أجل هذا يقول الحق... «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ».

تقول أيضًا الدراسة إن الموت عملية مقدرة بمنتهى الدقة.. وأن كل خلية حية بداخلها ساعة بيولوجية منضبطة تمامًا للحظة موتها أتوماتيكيًا... ولا ينطبق هذا فقط على خلايا المخ غير المتجددة إطلاقًا، التي بموتها يموت الكائن الحي.. بل حتى الخلايا المتجددة.. ككرات الدم.. بداخلها ساعة بيولوجية مضبوطة بدقة على معاد موتها.. أو قل ربما

قنبلة تفجير ذاتية داخل كل خلية منضبطة بمنتهى الدقة على موعد محسوم ومقدر مُسبقًا.. فإذا جاء موعدها لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون... يقول الحق: «نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ».

وموت الخلايا المتجددة هو جهازنا المناعي

وموت الخلايا غير المتجددة هو نهايتنا الحتمية

وللموت سرعة أيضًا أثبتتها الدراسة... وينتشر الموت داخل الخلايا على هيئة موجات بسرعة ٣٠ ميكرومتر في الدقيقة... أي أن الخلية العصبية التي يبلغ قطرها ١٠٠ ميكرومتر تحتاج لثلاث دقائق وعشرون ثانية لتموت كليًا...

وربما أروع ما جاء في الدراسة بالنسبة لي... هو آخر سطورها:

تلك التي قالت إن الموت مخلوق تمامًا مثله مثل الحياة. وإنه لا يقل أهمية أبدًا عن الحياة. ولولاه لأصبحت الأجساد الحية بؤرة لتحور الفيروسات والبكتيريا والأوبئة بشكل قد يقضي على البشرية كلها في مدة قياسية... الموت مخلوق له وجود وسرعة ويشمل سلسلة من العمليات الفسيولوجية، فيزيائية وكيميائية، تمامًا مثله مثل الحياة...

لحظتها فهمت قول الحق: «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ».

في دراسة أخرى قامت في مركز رعاية في بوفالو / نيويورك، وجد الباحثون أنَّ فعالية المشاعر تزيد قبيل الموت، بنسبة تفوق الطبيعي بعشرات الأضعاف... وأجروا مقارنة بين الإشارات التي يعطيها المخ لحظة الاحتضار مع إشارات أخرى لأشخاص أحياء أثناء مرورهم بمشاعر طاغية... وكانت المفاجأة...

عند مقارنة الإشارات تبين التالي:

بعض الموتى أعطوا أثناء الوفاة إشارات مطابقة لإشارات الدماغ التي يعطيها شخص يجهز نفسه لسفر استرخائي جميل، ولكن بقوة مضاعفة عشرات المرات،

وبعضهم أعطى إشارات متطابقة مع تلك الإشارات التي يعطيها شخص يلتقي مع شخص يحبه لم يرَه منذ سنوات طويلة، ولكن بقوة مضاعفة عشرات المرات أيضًا.

وبعضهم أعطى إشارات متطابقة مع تلك الإشارات المرعبة التي يعطيها المجرمون وهم في طريقهم إلى منصة الإعدام، وبنفس تضاعف القوة...

وعندما يصبح الأمر شبه رسمي في آخر لحظات الاحتضار، يتحفز دماغك ويطلق النواقل العصبية التي تحفز نشاطًا في أجزاء مختلفة من الجسد تثير حالة من الاستسلام التام والمطلق للمصير القادم.

لم يكن كل هذا هو المذهل بالنسبة لي... المذهل حقًّا هو ما جاء في البحث عن قياس درجة الوعي الداخلية للمخ في لحظات الاحتضار... التي قالت إن الوعي طوال لحظات الاحتضار يزداد بشكل تدريجي على عكس المتوقع... حيث كان متوقعًا أنه كلما تقل نسبة الأوكسجين في المخ لحظة الوفاة يقل الوعي تمامًا... ولكن الدراسة أثبتت بما لا يدع أي مجال للشك أن الوعي يزداد تدريجيًّا في لحظات الاحتضار.. وأنه قبل اللحظات الأخيرة تمامًا يصل للدرجة القصوى، وهي درجة وعي صافٍ تمامًا بدون أي تشويش...

وأنه في اللحظات الأخيرة يبذل دماغك جهدًا كبيرًا ليهيئ وعيك لقفزته النهائية... ويجعله في حالة من الوضوح التام..

مع إشارات عصبية تُترجم على أنها شعور طاغٍ باستسلام بعد مقاومة... وكأن المحتضر بعد صراع الإشارات العصبية في دماغه أصبح فجأة أكثر تقبلًا للموت... ربما لأنه فجأة أدرك

عـدم جـدوى محاولاتـه ضـده، وربمـا لامتلاكـه رؤى مسـالمة ونهايـة جميلـة... النتيجـة في النهايـة واحـدة...

حسـنًا... يبـدو أن الإنسـان لحظـة موتـه سـمع ويـرى جيـدًا مـا يحـدث حولـه.. بينـما روحـه تكـون في حـوار آخـر مـع ملائكـة جـاءت لاصطحابـه لعالمـه النهـائي... وهـذا يفـسر كثـيرًا مـا قُلنـاه في مـا سـبق عـن المـوت، إن الـروح ترتفـع لأعـلى وتشـاهد جسـدها بنفسـها... الجسـد وحـده يسـتمع ويـرى.. أمّـا الـروح فتسـتمع وتـرى بـل وتتحـدث مـع الملائكـة وتـرى النـور...

هـذا هـو سر المـوت الأعظـم صاحـب الرقـم ٢ إذن... «الميـت يسـتمع ويـرى ويتحـدث مـع الملائكـة ويشـاهد النور».

ونحن أمة حياتها النور

نور في البداية والنهاية وما بينهما..

ربها نور... «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»

ونبيها نور... «قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ»

وكتابها نور... «فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا»

نور على نور

فكيف نعيش في الظلام؟! ظلام الجهل وظلام الوهم وظلام إرث الخوف من الموت الذي زرعوه داخلنا منذ الأزل...

الموت مخلوق رباني جميل ما دمت لم تؤذِ أحدًا أو تفسد في الأرض أو تسعى لخرابها...

ومخلوق رباني مرعب لأولئك الذين تاجروا بدماء الناس وأفسدوا في الأرض وخربوا فيها بعد صلاحها...

أعدوا العدة لهذا اليوم... ولكن لا تخافوا أبدًا من الموت...

لا أنتم تجار حروب.. ولا تجار دم.. ولا مفسدين في الأرض.. ولا مشركين بالله... فأحسنوا ظنكم بربكم... ووالله لن يخذلكم أبدًا... وهو من كتب على نفسه الرحمة... أيعجزه أن يرحمك؟! وهو نور السموات والأرض... أيعجزه أن يُنير دنياك وآخرتك؟!

فاللهم اهدنا لنورك... وأضِئ حياتنا بنورك... وأمتنا على هدى نورك... واجعل لنا في محيانا ومماتنا نورًا من نورك... نور على نور أنت.. وأنت الغفور الرحيم.



السر الثالث

عرض الأعمال لحظة الاحتضار

هـل تعـرض أعـمال الميـت عليـه عنـد وفاتـه؟ أيـن تقـع نسـخة الذاكـرة أو (الميمـوري كارد) لهـذه الأعـمال؟ أيـن كشـف حسـاب حياتـه الـذي جـاء موعـد تسـديد فاتورتـه؟

وكيف تُعرض هذه الأعمال على الميت لحظة وفاته؟

فيما يعرف بتجربة (near death experience).

أو المـوت الوشـيك، التـي سنسـتعرضها في بـاب منفصـل.. وهـي شـهادات موثقـة للذيـن توقفـت قلوبهـم عـن العمـل وماتـوا إكلينيكيًـا... ثـم ولسـبب غـير مفهـوم عـادت قلوبهـم للنبـض مـرة أخـرى وعـادوا للحيـاة.. كل الذيـن مـروا بالتجربـة أجمعـوا انـه في هـذه اللحظـة.. لحظـة خـروج الـروح الفاصلـة، تُعـرض عـلى الإنسـان أعمالـه كلهـا... كل خـير فعلـه وكل سـوء اقترفـه...

لدرجـة أن العديـد مـن الأشـخاص الذيـن مـروا بتجربـة المـوت الوشـيك تشـابهت أقوالهـم تمامًـا في عـرض أعمالهـم عليهـم... شـخص ليبـي مسـلم عائـد مـن المـوت الوشـيك يقـول في دوريـة لانسـيت الأمريكيـة الأشـهر... إنـه بعـد أن عـاد مـن تجربـة المـوت الوشـيك يتذكـر عـلى وجـه الدقـة أي صـلاة تركهـا في حياتـه، وفي أي يـوم وفي أي سـاعة!

وقد قام العلماء في بداية دراسة علم الموت بوضع تفسير علمي محدد ومنطقي لذلك، وقال برجسون الطبيب والعالم النفسي الأشهر ومؤسس علم الذاكرة إنه في هذه الحالة يحدث نشاط رهيب في خلايا الدماغ... التي تمثل وعاء الذاكرة أو (كارت الميموري) الذي يتم تخزين أدق تفاصيل حياة الإنسان فيه... ونتيجة نشاطها الزائد جدًّا ولقدرات خلايا الدماغ اللامحدودة... تعرض حياة الإنسان كشريط ڤيديو يسترجع من خلالها أدق تفاصيل حياته في دقائق معدودة... وبعد إفاقته يتذكرها بدقة... بمنتهى الدقة... بسبب حداثة عرضها وتخزينها مرة أخرى.

كان هذا هو التفسير العلمي لكل الحالات التي تشابه قولها إنها عُرضت عليها أعمالها في تجارب الموت الوشيك... كان هذا التفسير مقبولًا بشكل منطقي.

حتى إصدار بحث جامعة ميتشيجان في أواخر عام ٢٠١٩، التي نسفت هذا التفسير من الأساس... لأنها بمنتهى البساطة وبعد تصوير بالرنين المغناطيسي وكمية الكهربية والتغيرات الكيميائية لخلايا المخ بمنتهى الدقة... وجدت أن جميع خلايا المخ تكون في حالة نشاط منعدم تقريبًا باستثناء مراكز السمع والإبصار... التي تحدثنا عنها في الجزء

السابق... وأن مركز الذاكرة يكون منعدم النشاط نهائيًّا وبالتالي: يستحيل أن يكون عرض الأعمال هذا قد تم من خلال المخ...

هناك وعاء آخر للذاكرة إذن...

هو الذي يعرض كافة الأعمال على الميت عند وفاته... ليشاهد ما قدمت يداه... خيرًا أو شرًّا، ولكن.. أين هذا الوعاء؟

لا أحد يعرف...

أو على وجه الدقة... حتى شهور قليلة ماضية كان لا أحد يعرف... لكن الآن أصبح الأمر واضحًا تمامًا بعد دراسة كندية مشتركة قام بها متخصصون في علم النفس مع قسم الطب النفسي في جامعة تورنتو في كندا، التي فجرت مفاجأة مذهلة...

وهي أن وعاء الذاكرة الخاص بالمخ هو مجرد كارت ذاكرة للأعمال الحياتية اليومية فقط... ولكن عند الاقتراب من الموت تمامًا يتوقف هذا الوعاء عن العمل كمعظم مراكز المخ ليحل بدلًا منه وعاء آخر أكثر دقة ووضوحًا وتفصيلًا، وأن هذا الوعاء مقرُّه... النفس البشرية.

رصدت الدراسة تصوير مغناطيسي وكهربي وكيميائي وإلكترو-مغناطيسي لخلايا المخ لحظة الموت...

وكان الهدف من ذلك دراسة التغيرات التي تحدث داخل خلايا المخ نفسها... ولكن المفاجأة الأكثر قوة... كانت في وجود موجات إليكترو-مغناطيسية غريبة تحيط بالرأس من الخارج وبذبذبات غير معتادة أثناء الوفاة... وأن هذه الموجات تشبه موجات تم رصدها داخل خلايا الجسم المختلفة أثناء خروج الروح منها... ولكن بذبذبات أقل... وكانت هذه أول مرة يتم رصدها محيطة بالرأس من الخارج وليست داخل الجسم... غير أنها وهي محيطة بالرأس تكون بذبذبات عالية جدًّا على عكس وجودها داخل الجسم... هي النفس إذن!

هي موجات النفس ولكنها داخل الجسم أقل نشاطًا، فإذا تجمعت عند الرأس أصبحت عالية النشاط بشدة غير طبيعية... إذن لا يوجد غيرها كتفسير علمي لعرض الأعمال على الميت. وهذا ما استنبطه البحث، وأبسطه في النقاط التالية:

١- وعاء الذاكرة في المخ منعدم الإشارات تمامًا أثناء

الموت الوشيك... وبالتالي هو غير مسئول عن عرض الأعمال على الميت بل هو مجرد نسخة ذاكرة للأعمال الحياتية، فقط تنتهي بالموت...

٢- الإشارات الوحيدة المشتبهة بأنها تعرض شيئًا ما على المخ بمنطقة الرأس هي موجات إليكترو-مغناطيسية تنشط حول الرأس بشكل كبير أثناء خروج الروح من الجسد...

٣- هذه الموجات تشبه في شكلها وتردداتها الموجات التي تنبعث من الأطراف والأعضاء الداخلية لحظة خروج الحياة منها مع اختلاف قوة الذبذبات.

٤- إذن.. هذه الموجات هي نفسها موجات النفس أو كما يسميها الغرب (soul waves).

من كل هذا خرجت الدراسة بالاستنتاج العلمي المؤكد بصرامة الذي لا يقبل أي تشكيك بسبب عدم وجود أي سبب لأي نشاط آخر على الإطلاق موجود في منطقة المخ...

وكان هذا الاستنتاج ينص على أن النفس هي وعاء الذاكرة الحقيقي...

وعـاء الذاكـرة الحقيقـي موجـود في عقلـك الباطـن... في نفسـك البشريـة.. نفسـك التـي كانـت تمتلـك الدوافـع والنيـات والرغبـات وقـت قيامـك بعمـل مـا... وهـي التـي سـجلت بمنتهـى الدقـة محـضر الواقعـة وحفظتـه في صـورة موجـات إليكترو-مغناطيسـية تُشـبه كثـيرًا الموجـات التليفزيونيـة التـي لا تُـرى... وقامـت بحفظهـا داخـل جسـدك... فـما يخـص نشـاط الأرجـل حفظتـه في الأرجـل... ومـا يخـص نشـاط الأيـدي حفظتـه في الأيـدي... ومـا يخـص نشـاط اللسـان حفظتـه في اللسـان... وهكـذا.

فلـما جـاء وقـت موتـك وبـدأت النفـس بموجاتهـا تخـرج مـن جسـدك وتسـحب معهـا موجاتهـا الإليكترو-مغناطيسـية مـن الأعضـاء إلى الـرأس... قامـت بعـرض أعمالـك كاملـة عليـك وأنـت في طريـق انتقالـك للحيـاة الأخـرى...

وعـاء الذاكـرة الحقيقـي مقـره النفـس البشريـة، وهـي التـي تعـرض الأعـمال كاملـة عـلى الميـت، الـذي لا يحتـاج في حالتـه هـذه إلا مركزيـن في المـخ.

السـمع والإبصـار... ليسـمع ويـرى بوضـوح العـرض الكامـل للموجـات الإليكترو-مغناطيسـية صوتًـا وصـورة لـكل أعـمال حياتـه...

أما الذاكرة الدائمة فلم يكن يومًا مقرها المخ...

كيف لم نفكر بهذا يومًا من قبل؟!

بديهي جدًا أن تكون ذاكرة المخ ذاكرة حياتية مؤقتة...

بدليل واحد فقط:

إذا أُصيب إنسان حي بجلطة أدت إلى وفاة جزء بالمخ يقع ضمنه منطقة الذاكرة... ثم حدث ضمور لهذا الجزء وفقد الحياة تمامًا وللأبد... كيف ستعرض عليه أعماله حين وفاته؟

كيف لم نفكر في هذا الأمر من قبل؟!

الذاكرة الدائمة في النفس... النفس الأمارة بالسوء التي تملك كل الدوافع والنيات المُبَيَّتة لفعل أي جريمة... وتملك كل العواطف والنيات الجيدة لفعل أي فضيلة... وهي وحدها من يقوم بتخزين محاضر الوقائع في صورة موجات إليكترو-مغناطيسية تشبه موجات التليفزيون وتخزن كل واقعة في منطقتها...

فمثلًا:

- فاحش القول أو حسن الكلم تخزن موجاته في اللسان.

- تقديم الصدقة والضرب تخزن موجاته في اليد.

- السير إلى المساجد والسير إلى المعاصي تخزن موجاته في الأرجل.

- التعاطف والحقد تخزن موجاته في القلب.

وهكذا...

فلما استعدت النفس للخروج من الجسد في رحلتها الأخيرة بدأت تنسحب رويدًا رويدًا من جميع أجزاء الجسم ساحبة معها الموجات الإليكترو-مغناطيسية من كل مكان بخيرها وشرها، حتى إذا استقرت عند الرأس قامت بعرض صوت وصورة لمسيرة حياتك خيرًا وشرًّا...

بينما تنتظر الملائكة باسطةً أيديها... تشاهد هذا العرض الأخير معك... في انتظار تحديد مصيرك في وقتك بدل الضائع...

لتقول لك واحدة من اثنتين...

إمَّا: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ...

وإمَّا: ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ...

فإذا جاءت القيامة ورد الله روحك إليك بعد أن خرجت

منك حين الوفاة بكل موجاتها وعادت كل مجموعات الموجات إلى أماكنها... هذه في اليد وهذه في القدم وهذه في القلب وهذه في اللسان... واختلفت معايير الشهادة أمام الله... أذن الله لهم بالشهادة وأصبح العرض التليفزيوني علنيًّا أمام الخلق وأمام الله... فتشهد موجات كل عضو بما اقترف..

يقول تعالى: «يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

الله الله الله...

الآن فهمنا كيف تشهد الألسنة والأيدي والأرجل وما هو الوعاء الخاص بالذاكرة الذي خزَّن بداخل كل عضو منها...

إذن استمر العلم في أبحاثه خلال قرون، وأجهزة، وابتكارات، وأبحاث متواصلة، ليصلوا عبر مئات السنين وتريليونات الدولارات المنفقة في الأبحاث العلمية إلى: يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون...

حسناً... هناك نسختان علميتان إذن للذاكرة:

- نسخة مؤقتة للأعمال الحياتية العادية في المخ على هيئة مراكز للذاكرة في القشرة المخية.

- نسـخة دائمـة مقرهـا النفـس عـلى هيئـة موجـات إليكـترو-مغناطيسـية موزعـة في الأعضـاء الداخلية.

ليصمت العلم الآن...

وننتقل إلى الجانب الديني...

الذي يقول:

نسختكم المخيّة لحياتكم...

ونسختكم النفسية لأنفسكم...

لكن لا شيء يضيع عندنا أبدًا...

هناك ملائكة موكلون بكتابة أعمالكم...

يقول تعالى: «وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ».

ويقول: «وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ{١٠} كِرَامًا كَاتِبِينَ».

نسخة ثالثة إذن...

نسـخة تسـجلها الملائكـة... أذهلتنـي واللـه الآيـة الكريمـة حتـى كـدت أسـجد خضوعـًا وذلًّا للـه...

تلك التي تقول: «إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ».

كلمـة نستنسـخ تعنـي نصنـع نسـخة جديـدة مـن نسـخ سـابقة... وكل نسـخة عـلى قـدر صاحبهـا... نسـخة مخـك الحياتيـة عـلى قـدر قدراتـك الذهنيـة... ونسخة نفسـك الدائمـة عـلى قـدر نفسـك البشريـة... فكيـف بنسـخة الملائكـة؟!

ثـم إذا كانـت نسـخة النفـس تعـرض موجـات صـوت وصـورة... فـماذا سـتعرض نسـخة الملائكـة؟

إذا كانـت مجـرد كتابـة الملائكـة وحدهـا تنطـق فكيـف بنسـختهم الكاملـة؟!

يقول تعالى: «وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ».

ويقول: «هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ».

هذه الكتابة فقط... فكيف بالنسخة الكاملة؟!

ويبـدو أن مسـتويات النطـق يـوم القيامـة تختلـف كثـيراً جـدًّا... ويبـدو أنـه ليـس كتـاب الملائكـة وحـده هـو الـذي ينطـق... يبـدو أن النسـخة الكاملـة تشـمل نطـق الأعضـاء أيضًـا...

يقـول تعـالى: «وَقَالُـوا لِجُلُودِهِـمْ لِـمَ شَـهِدتُّمْ عَلَيْنَـا قَالُـوا أَنطَقَنَـا اللَّـهُ الَّـذِي أَنطَـقَ كُلَّ شَيْءٍ».

لكن... بما أن النفس تحتفظ بنسخة دائمة فما فائدة نسخة الملائكة؟!

لأن النفس البشرية حتى وهي في لحظة الحقيقة الدامغة... في لحظة الموت اليقينية... ما زالت تكذب وتنكر وتتبرأ من أعمالها السيئة...

يقول تعالى: «الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ».

فتجيب الملائكة: (بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ).

حتى لحظة الموت يا ربي... ما زالت النفس تتهرب وتتنكر لأعمالها...

إذن، لا ثقة فيها...

فكان لزامًا وجود نسخة أخرى غير قابلة للتحريف ولا التزييف...

بل هناك أنفس يوم القيامة... وحتى أمام الله... ينكرون أعمالهم، ينكرون حتى كتاب الملائكة الذي ينطق بالحق... فيأمر الله أعضائهم لتنطق وتشهد عليهم...

فهل يخرسون حينها؟

مـا زال الزيـف والخـداع... بـل ذهبـوا في عنـاد يعاتبـون أعضاءهـم:

وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا؟

قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء...

آهٍ عـلى عنـاد النفـس البشريـة وجبروتهـا حتـى أمـام اللـه مـا زالـت تـراوغ...

حقًّا... إن النفس لأمارة بالسوء، إلا ما رحم ربي.

إذن، للبشر ثلاثة أوعية للذاكرة:

- وعاء مؤقت لحياته... وهو ذاكرة المخ.

- وعاء دائم لحظة موته... وهو ذاكرة النفس.

- فـإذا راوغـت النفـس بذاكرتها كان الوعـاء الثالـث... وفيـه كل صغـير وكبـير مسـتطر... وعـاء ينطـق بالحـق... وعـاء الملائكة الـذي ينطـق بالحـق... ويسـتنطق الأعضـاء.

فبُهت الذي كفر...

هـذا هـو الـسر الأعظـم صاحـب الرقـم ٣ إذن... جميـع أعمالـك تُعـرض عليـك لحظـة احتضـارك... بخيرهـا وشرهـا..

والنفس البشرية ذاتها هي وعاء الذاكرة الذي احتوى جميع أفعالك الحياتية... وأنت ونفسك... خير نفسك لك... وشر نفسك عليك... خير نفسك يفتح لك بابًا للجنة... وشر نفسك يفتح لك بابًا للنار... وأن تأتي الله بنفس سوية وقلب سليم... فحينها ستحظى بلحظات احتضار مريحة... وارتقاء مثالي سريع... فهذبوا أنفسكم... وحسنوا نواياكم... عملك يفتح لك بابًا للجنة... ونواياك تفتح لك أبوابها الثمانية... فالله الله في النوايا.



السر الرابع

حياة البرزخ

* عرفنا في السر الأول أن الميت يرى بوضوح من حوله بعد موته... ويسمع نعيه بنفسه... بعد أن ثبت يقينًا أن مراكز السمع والإبصار تظل تعمل لفترات بعد الوفاة التامة... وعرفنا أن مركز الإبصار في المخ أثناء خروج الروح يُعطي نبضات مشابهة لتلك التي يعطيها مركز الإبصار للشخص الحي حين يتعرض لوميض قوى جدًّا... وقلنا إن هذا الوميض ربما هو استقبال الملائكة لنفس الميت لمرافقتها لمقرها الأخير، فإمَّا: سلامٌ عليكم طبتم فادخلوها خالدين... وإمَّا: ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين. (راجع السر الأول).

* وعرفنا في السر الثاني أن أعمال الميت تُعرض عليه كاملةً وقت وفاته... وأن الاعتقاد العلمي القديم كان ينص على أن مركز الذاكرة الذي يقوم بعرض هذه الأعمال مقره المخ... ولكن أثبتت دراسات كندية موسَّعة خطأ هذا الاعتقاد... ورصدت موجات إلكترو-مغناطيسية تخرج من أطراف الجسم وأعضائه مرافقةً لخروج الروح وتتجمع عند الرأس... وأن هذه الموجات هي السجل الكامل لأعمال المتوفى... وأن مركز الذاكرة الحقيقي موجود في النفس البشرية وليس المخ... وعلمنا في ذات الجزء أيضًا أن هناك نسخة ثالثة سجلتها الملائكة تنطق بالحق يوم القيامة.

قال تعالى: «هذا كتابنا ينطق بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون».

خرجت الروح إذن وجاوزت النفس حاجز البرزخ وحق عليها القول إنهم إليها لا يرجعون.

فما هي حياة البرزخ، أرواحًا، وأبدانًا، بين العلم والدين؟!

كانت فكرة البعث دائمًا بالنسبة للعلم المجرد هي فكرة خرافية روَّجت لها بعض الأديان... ووفقًا للعلم لا حياة أخرى... لا جنة، ولا نار.

حتى هذا اليوم الفاصل...

السابع والعشرون من شهر مارس في عام ٢٠١٦ حين نشرت وكالة روسيا اليوم مقالًا يحتوي على تقرير من علماء كبار في جامعة كارولاينا الجنوبية بالولايات المتحدة الأمريكية... وقد احتوى التقرير على خبر مثير ربما هو الإثبات العلمي الأول من نوعه... يقول العلماء إن الأشخاص بعد وفاتهم تتصل أرواحهم بعوالم موازية.

وقال البروفيسور لانتس ـ الذي يترأس هذا الفريق ـ إن حياة الناس عبارة عن مركب من مركبات الدورة المستمرة

التـي لا تنقطـع، وبعـد وفـاة الأشـخاص تنتقـل نفوسـهم إلى أبعـاد أخـرى، فهـم محيطـون بنـا غـير أننـا لا نراهـم، وهـم غـير قادريـن عـلى التواصـل معنـا... لأنـه ووفقًـا للنظريـة النسـبية تحـررت أنفسـهم مـن قوانـين الزمـان والمـكان التـي نخضـع لهـا كبـشر بينـما تتحكـم بهـم قوانـين لأبعـاد أخـرى، ربمـا يتوصـل لهـا العلـم ذات يـوم... رائـع!

لنفسر هذا الكلام العلمي المعقد:

الرجـل يريـد أن يقـول إن النفـوس البشريـة بعـد خروجهـا مـن الأجسـاد تهيـم في عـوالم موازيـة لا تخضـع للقوانـين البشريـة، غـير أنهـم يحيطـون بنـا طـوال الوقـت ولكـن عـلى موجـة أخـرى... عـلى تـردد آخـر... نعجـز نحـن عـن التقاطـه ويعجـزون هـم عـن إيصالـه إلينـا.

هـذا وقـد شَـبَّه البروفيسـور لانتـس دورة حيـاة الأنفـس بـدورة حيـاة النباتـات التـي تنمـو وتنضـج ثـم تذبـل وتدخـل في دورة حيـاة جديـدة،

عنـد قـراءة هـذا الجـزء مـن التقريـر خاصـةً هـذا التشـبيه لحيـاة الأنفـس بحيـاة النبـات... ازددت خشـوعًا وخضوعًـا للـه...

اقرأ معي الآيات التالية:

«وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ». الأعراف ٥٧.

وقال تعالى: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ». فصلت ٣٩.

«وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) ». نوح ١٧، ١٨.

أشهد أن ذلك الكتاب لا ريب... فيه هدى للمتقين.

ومن باب الأمانة العلمية، فالتقرير أوضح أنها مجرد عوالم موازية... بأبعاد غير بشرية للزمان والمكان... وأنه لا توجد في هذه العوالم جنة ونار... وهذا لا يتنافى أبدًا مع الدين؛ فمن الثابت دينيًا كما سنستعرض لاحقًا أن الأرواح تهيم في أماكن عدة... وأن الجنة والنار أُعدتا ليوم القيامة... ولكن الأهم أنهم أخيرًا وبالإثبات العلمي القاطع بدأوا يطرقون أبواب العوالم الموازية أو البرزخ.

يقول تعالى: «وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ».

والبرزخ في اللغة هو: الحاجز بين نقيضين، كقوله تعالى: «وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا». الفرقان ٥٣.

وحياة البرزخ هي الفترة الزمنية الفاصلة بين الحياة الدنيا، ويوم القيامة... ولكن أين توجد الأرواح إذن؟! أين تقع العوالم الموازية؟! وهل تتجمع الأرواح كلها في مكان واحد؟!

وأين تهيم الأرواح؟

هذا ما لن يثبته العلم يومًا... لن تعود روح من مستودعها لتُخبرنا بمكانها... إنما يثبته الدين...

لنا موتتان وحياتان وبرزخان، ربما هذا من حقائق القرآن العجيبة عن الموت، أننا نموت مرتين ونعيش مرتين... وذلك ما سنعرفه يقينًا يوم القيامة.

قال تعالى: «قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ». غافر ١١.

وقال تعالى: «كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ». البقرة ٢٨.

إذن كنا موتى قبل ميلادنا فلما نفخ الله من روحه في الجنين وبدأ حياته الأولى... حتى إذا خرجت النفس من الجسد عاد إلى موتته الثانية... ثم تبعث النفس والجسد لتحيا حياتها الأخيرة... إما جنة وإما نار... وبالتالي الموت بالنسبة للجسد هو أن يكون بلا نفس... والموت بالنسبة للنفس هو مغادرتها الجسد... وفي الحالتين تهيم النفس في العوالم الموازية العجيبة، أو قُلْ عالم البرزخ الغامض.

ومؤخرًا حدث اتفاق تام منذ شهور بين العلم والقرآن فيما يخص البرزخ... وإن اختلفت التسمية... حيث يطلق عليه العلم اسم «العالم الأثيري» وتصفه كتب العلم الحديث بأنه هو الفراغ التام الموجود بين الأرض وكل ما يحيط بها بما فيها الشمس والكواكب.

وأضيف إليه مؤخرًا بعد الاكتشافات المبهرة في عالم الذرة الفراغ الموجود داخل جميع الأجسام الصلبة وداخل الذرة نفسها... فالأرواح تعيش حرةً طليقة في هذه الفراغات الهائلة لا يمنعها أي حاجز... بل وتستطيع أن تنفذ من فراغات الذرة نفسها... وإن كانت حائطًا من الصُّلب...

إذن الأرواح تحيط بنا الآن... ترانا... وتسمعنا... بل وتشاهدك الآن أقرب الأرواح إليك وأنت تقرأ عن عالمها...

وربما تشير لك وتبتسم...

وللروح سرعة عجيبة في الانتقال...

تعالوا لنرى هذا الإعجاز:

من المعروف علميًا أن أكبر السرعات على وجه الأرض هي سرعة الضوء... فما هو رأيك لو علمت أن سرعة الأرواح تعادل ٥٠ مرة سرعة الضوء...

هذا ما توصل إليه عالم الفيزياء المعاصر بجامعة عين شمس د. منصور حسب النبي بعد أن قام بمعادلة حسابية بين آيتين من القرآن الكريم...

الآية الأولى: «يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ». السجدة ٥.

معنى هذا أن المسافة التي يقطعها الأمر الكوني في زمن يوم واحد من أيامنا تساوي المسافة التي يقطعها القمر في مداره حول الأرض في ١٠٠٠سنة قمرية، لذا قال تعالى في نهاية الآية «مِمَّا تَعُدُّونَ».

وبحل هذه المعادلة رياضيًا... يتضح لنا أن سرعة الأمر الكوني ٢٩٩٧٩٢,٥ كم/ث.

هل تعلم أن هذا الرقم وبمنتهى الدقة هو سرعة الضوء المعلنة دوليًا... والمتفق عليها في جميع المراكز البحثية.

إذن تدبير الأمر من الله يصلُ إليك كل صباح... كما يصل ضوء الشمس... فعلامَ تحمل همَّ رزق أو كرب؟!

أما الآية الثانية فتتحدث عن سرعة الروح والملائكة في عالمهم الموازي عالم البرزخ؛ يقول تعالى: «تعرج الملائكة والروح إليه في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة». المعارج٤.

معنى ذلك أن سرعة الملائكة والأرواح في عالمهم الموازي تعادل خمسين ضعف سرعة الضوء... هل علمت الآن مدى قدرة الأرواح على التنقل!

ربما أبي؛ ذاك الراحل النبيل، الآن مثلًا يتابعني وأنا اكتب... وفى جزء من الثانية يتابع أختي التي تبعد عنى قرابة ١٥٠ كيلومتر بالتمام... وفى نفس الثانية كان يتابع بعض الأقارب خارج مصر على بعد آلاف الأميال... كل هذا في ثانية واحدة... فهل أدركت سرعتهم؟

كان هذا بخصوص شكل الأرواح وسرعة انتقالها.

كل الأرواح تتشابه من حيث الشكل والسرعة...

قال تعالى: «وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع».

فأما المستقر فهو جسم الإنسان الذي تستقر فيه النفس منذ كان جنينًا وحتى وفاته... وأما المستودع فهي حياة البرزخ التي تبقى فيها النفس وديعة إلى أن تقوم الساعة.

إذن... تتشابه الأرواح في صفاتها العامة... فأين يكمن الخلاف؟

يكمن الخلاف بين الأرواح في مناطق تواجدها... في مستودعها.

فأين تعيش الأرواح؟!

بتدبر القرآن الكريم... ثبت لي يقينًا أن للأرواح أماكن عدة... فبعضها موجود في المقابر بجوار الجسد ليرى عذابه القادم بعينه يوميًّا...

يقول تعالى: «النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ». غافر ٤٦.

وهناك أرواح تُشبهنا... ظلمت نفسها... خلطت عملًا صالحًا وآخر سيئًا... عسى الله أن يتوب عليهم... يهيمون

حولنا في كل مكان... وتروي بعض كتب السيرة أن الإمام عليّ كرم الله وجهه كان يذهب إلى أحد الأودية بالكوفة يقال له «وادي السلام» فيرى أرواح المؤمنين بين السماء والأرض... وكان يخاطب خادمه فيقول «والله لو رأيتهم في حلقاتهم يتمازحون ويتحدثون... ولو كُشف لك لرأيتهم عيانًا».

وهناك أرواح في الجنة نفسها يأكلون من طعامها ويشربون من شرابها فمما يُروى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن أرواح المتقين في حجرات في الجنة يأكلون ويشربون ويقولون: ربنا أقم الساعة وأنجز لنا ما وعدتنا وألحق أولنا بآخرنا».

وهناك بعض الأرواح لفرط ما تحيا فيه من جمال نست الأرض وأهلها... أولئك الذين حاذوا نعمة (العِندية)...

قال تعالى: «وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ». آل عمران.

فهل تترك هذه الروح كل تلك الفرحة... وكل هذا

الجمال عند العرش... وتشغل بالها بأمر الدنيا وأناسها؟!

أما باقي الأرواح الهائمة... فتتحادث وتتزاور وتنتقل...

ومما يُروى عن الإمام الصادق أيضًا أنه قال إن المؤمن ليزور أهله فيرى ما يُحب... ويُستر عنه ما يكره... وإن الكافر ليزور أهله فيرى ما يكره... ويستر عنه ما يحب... ومنهم من يزور كل جمعة... ومنهم من يزور على قدر عمله.

إذن... ملخص كل هذا أن الأرواح تحيا في عالم البرزخ في قوالب مثالية لا تخضع لقوانين الزمان والمكان التي نخضع لها كبشر... وتنتقل هذه الأرواح في عالمها بسرعة مذهلة تعادل ٥٠ مرة سرعة الضوء... وأن الأرواح تتزاور فيما بينها وتزور أهلها وتطلع على أمورهم...

قال ابن القيم في كتابه «الروح» إنه لا مانع أن تلتقي الروح التي في الجنة مع الروح التي تكون عند القبر... لأن الأرواح لها خواص متعلقة بها تختلف بأحكامها عن مقاييس البشر... وربما الاتصال الوحيد بين أرواح الأموات والأحياء يكون خلال النوم.

قال تعالى: «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ

تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ». الزمر ٤٢.

وقال بعض السلف: تُقبض أرواح الأموات إذا ماتوا... وأرواح الأحياء إذا ناموا... فتتعارف ما شاء الله أن تتعارف... لذا دائمًا أقول رؤيا الميت حق... ووراءها ما وراءها...

هذا بالنسبة للروح في عالم البرزخ...

أمَّا حال الجسد، ذاك البدن الراقد بين التراب والديدان... فعندما نبدأ باستعراض حاله في السر التالي... سنجد أنفسنا وجهًا لوجه أمام قضية شائكة... عذاب القبر ونعيمه هل هو حق أم غير حق؟! لذا آثرت أن يكون هذا الموضوع في سر مستقل من أسرار الموت العظمى...

حسناً... السر الرابع إذن... هو أن الأرواح تهيم حولنا... تحيا في قوالب إيثيرية مختلفة الحسابات بالنسبة للزمان والمكان والسرعات... أشبه كثيرًا بموجات الراديو مع الفارق في المثال... ولكل روح مستودع استودعه الله لها... وتتزاور الأرواح وتتعارف... لم يتركونا أبدًا... إنهم محيطون بنا حيثما اتجهنا...



السر الخامس

مصير الجسد

ما هو مصير الأبدان داخل القبور بعد أن غادرتها الأرواح ووقفت في سقف قبرها تشاهد تحلل جسدها الأرضي قبل أن ينتقل الشخص روحًا حية إلى عالم البرزخ في انتظار القيامة.. وما سرُّ الأجساد غير المتحللة بعد سنوات من وفاتها؟! وكيف تحتفظ بأبدانها؟!

مئتا عظمة وسبعٌ وثلاثون تريليون خلية وتريليون ميكروب يعيشون داخل جسد كان ينبض بالحياة منذ دقائق وصار جثةً هامدة بخلاياه وأنسجته وأعضائه وأجهزته وكامل تركيبه الحي...

يموت الإنسان على مرحلتين:

- المرحلة الأولى هي الموت السريري الذي تتوقف فيه عضلة القلب وضخ الدم عن العمل، وتستمر لعدة دقائق، وهي الدقائق التي تحدثنا عنها في الحلقات السابقة، التي يرى ويسمع المتوفي فيها كل ما يحدث حوله وتعرض عليه أعماله ويقابل فيها وفدًا من الملائكة يصطحبونه لحياته الأخرى الخالدة.. وقد تم مناقشة ذلك بالتفصيل، وقد يعود الإنسان بعدها للحياة إذا قمنا بإنعاشه طبيًّا بشكل سليم وكان أجله لم يأتِ بعد..

- أمّا المرحلة الثانية وهي الموت الخلوي، وفيه تموت الخلايا بشكل تلقائي مما يؤدي إلى وفاة الأعضاء والأجهزة ويصبح خلالها الجسم جثة هامدة.. وتبقى هذه الدقائق هي الفاصل الحقيقي بين عالم الحياة وعالم البرزخ، ويعتبر الموت الخلوي هو حاجز هذا البرزخ أو بوابته، التي إذا تجاوزها الإنسان لا يعود لصورته الحية بعدها أبدًا..

وهنا نستعرض ما يحدث للجسد بعد تجاوز حاجز البرزخ مباشرةً..

يبدأ دخول الإنسان لمستوى حاجز البرزخ حيث لا عودة مرة أخرى عن طريق الشهقة الأخيرة، والتي تحدث بعدما يضغط المخ بكل قوة على أجهزة الجسم الداخلية خاصة الجهاز التنفسي لتزويد وصول الأكسجين إلى خلايا الجسم، ولكن بدون فائدة فتكون تلك شهقته الأخيرة، تبدأ بعدها عملية الموت التي تنتقل من خلية إلى أخرى بالتدريج.

تقول أبحاث طب ما بعد الوفاة بجامعة نورث كارولينا إن السمع هو آخر ما يفقده الإنسان، وإنه يستمر لفترات بعد دخول الإنسان حاجز البرزخ، وحتى بدء عملية الموت التي تنتقل من عضو لآخر وفقًا لاحتياج هذا العضو للأكسجين.

فنجد مثلًا أن المخ هو أول شيء تموت خلاياه ويفقد الماء من داخله، ويظهر فقد الماء على هيئة ارتشاح وأوذيما حول المخ في أشعة الرنين المغناطيسي التي أُجريت بعد الوفاة بدقائق، يتوالى بعد المخ موت الأعضاء عضوًا وراء آخر وفقًا لاحتياجات الأعضاء للأكسجين، فالعضو الذي يحتاج أكثر يموت أولًا، ويبقى العضو الأقل احتياجًا للأكسجين ينازع حتى النهاية، بينما آخر ما يموت في جسد الإنسان هو قرنية العين التي لا تحتاج للأكسجين أساسًا، وتسمى الفترة التي تمضي بين بدء عملية الموت الأخيرة وحتى موت آخر عضو في الجسم بالحياة الخلوية، وهي الفترة التي يمكن نقل الأعضاء خلالها قبل موتها إلى أجساد أخرى، فيما يعرف بعملية زرع الأعضاء.

بعد نصف ساعة من الوفاة وبعد موت آخر عضو في جسد الإنسان تبدأ فورًا عملية تعرف بالرخاوة الرُمِّية الأولية، وهي ارتخاء جميع عضلات الجسم بما فيها العضلات اللاإرادية، وتستمر قرابة نصف ساعة إلى ساعتين، وهي الفترة التي يجب خلالها إغلاق عين المتوفى وفمه، فيما يعرف عاميًا بـ «تلتيم الميت»، لأن استمرار العين والفم مفتوحان حتى انتهاء مرحلة الرخاوة الرمِّية الأولية ودخول الجسد في مرحلة التيبس الرِمِّي يصعب جدًّا إغلاقهما،

وتبقى العينان مفتوحتين وكذا الفم حتى تحلل الجثمان.

بعد ساعة يبدأ انخفاض في درجات حرارة الجسم بمعدل درجة إلى درجة ونصف كل ساعة تقريبًا، فيما يُعرف عاميًا بـ «برودة الميت»، ويستمر معدل الانخفاض حتى الوصول لدرجة حرارة الغرفة في قرابة ثلاث ساعات صيفًا وست ساعات شتاءً.

بعد ساعتين من الوفاة يبدأ لون الجلد في خلفية الجسد بالتغير إلى اللون البنفسجي الفاتح «في الوفيات الطبيعية» فيما يعرف بالرسوب الدموي، وهي عملية تحرك الدم بفعل الجاذبية الأرضية إلى أسفل وترسبه أسفل الجلد مُعطيًا إياها اللون البنفسجي الفاتح، فمثلًا لو كان المتوفى مستلقيًا على ظهره تجد هذا الرسوب الدموي البنفسجي موجودًا بمناطق الظهر والساقين من الخلف عدا مواضع الاتكاء، وهي المواضع التي يتكئ الجسم عليها في نومه، كالكتفين والمِقعدة، والعكس لو كان المُتوفى ملقى على بطنه، وهي نقطة تهم الطبيب الشرعي كثيرًا من عدة زوايا، فمن حيث الموضع وجود الرسوب الدموي في الظهر وخلفية الطرفين السفليين يشير إلى وفاة الميت أثناء استلقائه على ظهرِه، ووجود الرسوب الدموي على الوجه والبطن

ومُقدم الساقين يشير إلى وفاة الميت أثناء استلقائه على وجهه، ووجود الرسوب الدموي في القدمين من أسفل يشير إلى الوفاة شنقًا، ووجود الرسوب الدموي في الكتفين يشير إلى الوفاة غرقًا، وفي حالة وجود أجزاء من الرسوب الدموي على الوجه والبطن ومُقدم الساقين وأجزاء أخرى بخلفية الجسم فإن ذلك يشير إلى تغيير وضعية المُتوفى في خلال ساعتين من الوفاة، كأن يكون متوفى ملقًا على وجهه ثم تم تغيير وضعيته بعد فترة من الوفاة إلى الاستلقاء على الظهر وهكذا..

أيضًا من حيث اللون يُعطي الرسوب الدموي دلالة كبيرة على سبب الوفاة، فهو بنفسجي فاتح في حالات الوفاة الطبيعية، وأحمر في حالات التسمم بأول أكسيد الكربون، وغامق جدًا في حالات الأسفكسيا، وهكذا.. مما يهُم المتخصص في هذا المجال..

ويبدأ الرسوب الدموي على هيئة نقاط صغيرة بعد ساعتين ويكتمل تمامًا بعد قرابة ثماني ساعات مُشكلًا بُقعًا كبيرة بنفسجية اللون..

بعد ساعتين ونصف يبدأ التيبس الرمّي أيضًا وتنتهي مع بدايته الرخاوة الرمّية الأولية ويدخل الجسم في حالة من

التخشب الكامل نتيجة انقباض كامل عضلاته، ويصعب جدًّا تحريك أيًّا من الأطراف، وقد تؤدي محاولة تحريك الطرف عنوة إلى كسره، ويستمر الجسد في مرحلة التيبس الرِمِّي حتى اثنتي عشرة ساعة كاملة.

بعد اثنتي عشرة ساعة «نستخدمها غالبًا في الغُسل والتكفين» ومع دخول الميت القبر في ليلته الأولى يعود الجسم لمرحلة الرخاوة الرِمِّية الأخيرة التي تعلن بدأ مرحلة التحلل الذاتي التام، وتبدأ مرحلة التحلل عن طريق هجوم ملايين البكتيريا والميكروبات الجائعة، التي كانت تتعايش بشكل طبيعي داخل جسم الإنسان وأمعائه، بينما كانت تعمل أثناء حياته لمصلحته تحت سيطرة جهاز المناعة، ومع انهيار جهاز المناعة تبدأ هذه الأعداد المهولة النَهِمة في التهام كل ما تقابله أمامها، فتغزو الدم والشرايين والأعضاء أولًا.

في الليلة الثانية في القبر تبدأ آثار التحلل في الظهور على هيئة بقعة خضراء بأسفل يمين البطن بعدما بدأت البكتيريا تتغذى على الأمعاء حيث مناطق تواجدها بكثرة.

في الليلة الثالثة يدخل الجسم مرحلة كبيرة من التعفن الرِمِّي الذي يظهر على هيئة انتفاخ الجسد وجحوظ العينين

وتشقق الجلد وبروز اللسان، حيث تنبعث كمية كبيرة من الغازات كريهة الرائحة، الناجمة عن عملية التحلل كالأمونيا وكبريتيد الهيدروجين.

في الليلة الرابعة في القبر تجذب هذه الغازات كمية كبيرة من الحشرات والزواحف إلى الجسم الرطب بفعل سوائل التعفن، فتضع البيض على الجسم.

في الليلة الخامسة في القبر ينفجر يمين البطن تحت ضغط الغازات الناجمة عن التحلل ويبدأ تسرب الأعضاء المتحللة على هيئة سوائل تعفن تنتشر في أرضية القبر.

وفي الليلة السادسة تفقس بُويضات الحشرات مُفرزة ديدان وحشرات وعناكب تواصل الهجوم بضراوة على ما تبقى من أعضاء مُتغذيةً عليها.

في الليلة الخامسة عشر تسيل مُقلة العين وتتساقط الأظافر والشعر وأعضاء التناسل.

بعد ثلاثة أشهر تكون الحشرات والديدان قد تَغَذَّت تمامًا على جميع الأنسجة الرخوة تارِكَةً العظام متصلةً ببعضها بمجموعة من الأربطة والعضلات.

بعد ستة أشهر تتحلل العضلات وتبقى العظام متصلة

ببعضها عن طريق الأربطة.

بعد عام تتحلل الأربطة وتبقى العظام منفصلة تمامًا عن بعضها البعض، كل عظمةٍ بمفردها، وقد ترسب عليها الحديد الذي كان موجودًا بالجسم بعد تأكسده محولًا إياها للون البني.

تستمر العظام في عملية تحلل بطيء تتمثل في فقد ذرات الكربون مما يؤدي إلى انخفاض وزنها عامًا بعد آخر لكنها تظل مُحتفظة بشكلها وهيئتها الخارجية.

تبدأ مرحلة التحلل الحقيقي للعظام بعد ثمانين عامًا تقريبًا، حيث يتبقى فقط قشرة جافة فارغة تمامًا من الداخل تتحلل هي الأخرى بعد مرور عشرين سنة إضافية، لتندثر العظام تمامًا عدا عظم الذَنَب بعد مِئة عام لتصبح جزءً من ذاكرة التراب معيدة للتربة كل العناصر الرئيسية التي شكلت جسد الإنسان وغِذاءه طوال فترة حياته، فصدق القائل جلَّ وعلى: «مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ».

وقبل أن نبدأ في مرحلة الاستثناءات أردت أن أُلقي نظرة هُنا على آيات لحظات الموت في القرآن الكريم ومقارنتها بما انتهت إليه أبحاث علم الموت في أعظم جامعات العالم

فوجدت العَجَبَ العُجاب..

إحدى الجامعات الأمريكية بنيويورك يقول الباحث فيها نصًا إن الميت لحظة الموت كرجُل شرب كميةً مهولة من الخمر ووصل لمرحلة التسمم من السُّكْر، هو يسمع ويرى دون أن يستطيع التحرك أو النُّطق أو الهرب، يقُول تعالى: «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ»... إعجاز التعبير القرآني مُذهل «سَكْرَةُ الْمَوْتِ» لم يُستخدم هذا الوصف من قِبَل بشر قبل هذا التعبير القرآني العجيب..

تقول جامعة فيرجينيا إن الروح تبدأ في الانسحاب من الأطراف حتى تتجمع في الرأس وتخرج من الفم وفق الإشارات الواردة بجهاز الرسم المغناطيسي، يقُول تعالى: «فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ».. يقُول تعالى: «كَلَّا إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ، وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ، وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ»... «تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ»... صَدَقتَ يا رب العالمين... وكُل آيات الموتِ في القرآن الكريم تشهد شهادة يقينية جازمة بأن هذا الكتابَ هو الحقّ لا ريب فيه هُدًى للمتقين.

أما آية «مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ» ففي هذه الآية تحديدًا إعجاز علمي يستحيل على صاحب عقلٍ أن

يُنكرَه، فقد أثبتت التحاليل الكيميائية في الثمانينيات لجسم الإنسان أنه يتكون أساسًا من الماء ٥٤ ٪ إلى ٧٠ ٪، ودهون ١٤ ٪ إلى ٢٦ ٪، وبروتينات ١١ ٪ إلى ١٧ ٪، وكربوهيدرات ١ ٪، وعناصر ومُركَّبات غير عضوية من ٥ ٪ إلى ٦ ٪.

وفي عام ٢٠٠٤ أتى التحليل الأكثر دقة من جامعة مونتريال الكندية ومُطابق للتحاليل السابقة لكن بشكل أكثر تفصيلًا بنسب دقيقة للعناصر: الأكسجين ٦٥ ٪، الكربون ١٨ ٪، الهيدروجين ١٠ ٪، النيتروجين ٣ ٪، الكالسيوم ١,٤ ٪، الفوسفور ٠,٧ ٪، الكبريت ٠,٢ ٪، البوتاسيوم ٠,١٨ ٪، الصوديوم ٠,١ ٪، الكلور ٠,١ ٪، الماغنيسيوم ٠,٠٤ ٪، و٠,٠١ ٪ عناصر نادرة تشمل اليود والفلور والحديد والنحاس وغيرها، وما يُذهل حقًّا هو أن هذه التركيبة هي نفس التركيبة الكيميائية لتراب الأرض حين يختلط بالماء (الطين)... «فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا ۚ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ».. ويقول تعالى: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ»، وما كان من التراب يعودُ حتمًا إلى التراب... «مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ».

فتعالى اللهُ الملك الحق لا إله إلا هو تبارك اسمه وتقدس كِتابُه لا نُحصي ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسِه.

كانت هذه هي الصورة الطبيعية العادية لجثامين الكائنات الحية وما تمر بها داخل القبور، ولكن.. هل دائمًا الصورة طبيعية ؟! لا ورب مُحمد.. فلقد رأيتُ بِأُمِّ عيني العَجَبَ العُجاب.. وشاهد أطباء شرعيون غيري كذلك... رأيتُ جُثثًا تبدأ في التعفن بعد دقائق من موتها، وجُثثًا محفوظة من التحلل لسنوات، دون أي سَندٍ علميٍ معروفٍ أو ثابت، وهو ما سنتعرف عليه...

ولعلَّ من أكثر الحكايات تشويقًا في العصر الحديث حكاية اللواء محمد البطران رئيس مصلحة السجون الأسبق إبان نظام الرئيس مبارك.. الذي قام بدور بطولي أثناء الاعتداء على السجون لإحداث الفوضى في البلاد.. وتم تصفيته بطلق ناري في الفخذ وآخر في الصدر.. وتم دفنه بمعرفة أهله أثناء ثورة يناير... وبعد استقرار الأوضاع سارعت أسرته لتقديم شكوي عاجلة للنائب العام مطالبة باستخراج جثمانه لإثبات سبب وفاته.. وتم تشكيل لجنة ثلاثية من الأطباء الشرعيين يترأسهم كبير الأطباء الشرعيين وقتها د. إحسان كميل جورجي... وانتهت اللجنة إلى إثبات سبب الوفاة.. لكن المذهل كان ما رأته اللجنة بأعينها أثناء استخراجه بعد أكثر من سبعة شهور من دفنه... فقد وُجد جسد المتوفى إلى رحمة مولاه سليمًا معافى مبتسمًا...

لم يطلـه أي تحلـل أيًّـا كان... بـل ونمـت عـلى لحيتـه بعـض شُـعيرات بيضـاء.. وكانـت جراحـه مـا زالـت تنـزف دمًـا حـارًّا... وخـرج كبـير الأطبـاء الشرعيـين ـ غـير المسـلم بالمناسـبة ـ ليُعلـن لوسـائل الإعـلام مـا شـاهده.. وقـال إنـه لا يوجـد أي تفسـير علمـي منطقـي واحـد لمـا شـاهده أثنـاء هـذا الاسـتخراج... وهذا الـكلام موثَّـق تمامًـا، والاتصـال الهاتفـي لكبـير الأطبـاء الشرعيـين ببرنامـج «مانشـيت» مـا زال موجـودًا عـلى اليوتيـوب حتـى تاريخـه.. يمكنـك بسـهولة اسـتخدام منصـة البحـث «جوجـل» والبحـث عـن اللـواء البطـران...

حكايـة أخـرى أوردتهـا في كتـابي «للجثـث رأيٌ آخـر» عـن جثتـين لشـخصين لقيـا حتفهـما في ذات الأحـداث إبـان ثـورة ينايـر... وماتـا بنفـس الطريقـة تقريبًـا... وفي ذات البلـد... ودُفنـا في مقبرتـين يفصـل بينهـما عـدَّة أمتـار... لكـن شـتَّان المصـير... فأحدهـما قـد تعفَّـن بشـكل مـزرٍ داخـل قـبر مـليء بالحـشرات والزواحـف والروائـح التـي لا تطـاق... وأحدهـما يرقـد هادئـًا مبتسـمًا في قطعـة مـن الجنـة لهـا رائحـة المسـك وقـد احتفـظ جسـده بكامـل هيئتـه وملامحـه...

العديـد مـن الحكايـات شـاهدناها في القبـور المغلقـة عـلى أصحابهـا.. والأكـثر شـاهدناه عـلى مناضـد التشريـح...

أذكر يومًا أنه طُلب مني تشريح جثمان شاب.. وكان الجثمان منكفئًا على نفسه آخذًا وضعية الطفل في الرحم وقد انضمت ركبتاه إلى صدره ودخل في مرحلة التيبس الرمي على هذه الحالة... وله وجه كالبدر ليلة التمام... يستحيل لبشر ورب الكعبة أن يُبعد عنه ناظريه... برائحة عجيبة تنبعث من كل منطقة فيه... حينها بدأت التحرِّي والاستقصاء عن سبب هذه الوضعية الغريبة... وبالفعل... وجدت التبرير الذي انتظرته... عند صلاة الفجر.. دخل أحد المصلِّين إلى زاوية للصلاة... فوجد شابًا ساجدًا لا يتحرك... فظن أنه يتعبد... فتركه على وضعه وقام بصلاة السنة.. وعند إقامة الصلاة كان الشاب لا يزال على نفس الوضعية.. فقاموا بتحريكه فسقط على جانبه الأيمن وقد مات منذ أكثر من ساعة على نفس وضعيته... المذهل أن هذه الجثة لم تدخل أبدًا مرحلة الرخاوة الرمية... بل ظلت في مرحلة التيبس الرمي محتفظة بوضعيتها الساجدة حتى دفنها... ويقيني أنه سيلقى الله على هذا الوضع.. فأكرِم بها من نهاية...

وكم من جثة شاهدناها ترفع سبابة التوحيد...

وكم من جثة فوَّاحة ينتشر العطر منها...

وكم من جثة بيضاء كالقمر...

وأيضًا كم من جثة خضراء متعفنة متخشبة متيبسة كأنهم خُشبٌ مسندة... وعند الله السرُّ الأعلى...

ومن الثابت علميًا أن هناك حالات لا تتحلل فيها الجثامين.. كالدفن في الجليد مثلًا... أو حالة المومياء والتشمع وغيرها... لكن المؤكد أن كل هذه الحالات لم تنطبق على جثة واحدة مما ذكرناه أعلاه... فكل هذه الحالات مرَّت بالظروف الطبيعية المناسبة تمامًا لعملية تحللها وتعفنها، غير أنها لسبب إلهي بحت خالفت العلم والمنطق لتبقى محتفظة بأبدانها بشكل يثير العجب...

ولقد قلت سابقًا إن تحلل الجثامين هي فطرة الله الطبيعية التي خلق الناس عليها... ولكن ربما تلك كرامات للشهداء... فهم الموتى الوحيدون الذين وصفهم الله في كتابه بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون.. وربما لأجل هذا احتفظوا بأرواحهم وأبدانهم معًا في تمام الصورة الحيَّة...

هذا إذن هو سر الموت الأعظم صاحب الرقم ٥... مصير الأجساد حفنة من تراب... بينما هناك استثناءات لأجساد لا تخضع لقوانين العلم والطبيعة... وتبقى محتفظة بذاتها وملامحها بإذن ربها لمدد غير محددة دون أي تفسير علمي مؤكد أو تأويل واضح... ربما سر وعهد بينها وبين الله حاز

لها هذه الكرامة الربانية التي لا ينالها من عباد الله إلا القليل.

بقي أخيرًا أن أقول... والذي نفسي بيده إن الحياة إنما هي بعد الموت... وأن بيوتكم ليست ما تبنونه في حياتكم... وإنما بيوتكم الحقيقية هي قبوركم... فزيِّنوا قبوركم بما تشاءون... واختاروا لأنفسكم مسكنًا أبديًّا مريحًا... فإمَّا «النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا»... وإمَّا «فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ».



السر السادس

ليلة القبر الأولى

ماذا يحدث فعليًا في ليلة القبر الأولى؟!

هـل حقًّـا هنـاك «سـؤال الملائكـة لابـن آدم عـن أعمالـه».. وهـل حقًّـا يـرى ابـن آدم مصـيره الأخـير؟!

أسـتاذ علـم الأحيـاء الدقيقـة في جامعة واشـنطن د. بيتر نوبل قـال إن العلـماء الذيـن يجـرون اختبـارات عـلى الجثـث البشريـة وجـدوا جينـات تنشـط بعـد مـوت الجسـد مـن حـينٍ لآخـر. وقـد أجـرى د. نوبـل وأطبـاء آخـرون دراسـة عميقـة عـام ٢٠١٧، فاكتشـفوا أن أكـثر مـن ١٠٦٣ قطعـة مـن الجينات تبقـى في حالة نشـاطٍ بعـد المـوت، بعضهـا دام لأربعـة أيامٍ مـن تاريـخ الوفاة... ومـا يثـير الدهشـة وفقًـا لـه، أن النشـاط لم يكـن يتبـدد، بل آخذ في الارتفـاع طـوال مـدة المراقبـة خاصـةً في ليلـة الوفـاة الأولى.

وأضـاف د. نوبـل: «لم نتوقـع ذلـك، لقـد كانـت مفاجـأة لنـا، أصبـح بإمكاننـا أخـذ عينـات لجينـات نشـطة جـدًّا، تـزداد غـزارة حتـى بعـد المـوت بقرابـة ٢٤ سـاعة».

قـال د. نوبـل أيضًـا: «إن عـددًا قليـلًا مـن هـذه الجينـات تنمـو وتتطـور، الأمـر الـذي يشـير بوضـوح إلى أن أجسـادنا، بعـد المـوت، تبـدأ بالتحـول والعـودة إلى الظـروف الخلويـة التـي كانـت موجـودة عندمـا كُنّـا أجنـة».

عدت للبحث الخاص بـ د. بيتر نوبل... فوجدت أن هذه الجينات تُمثل السمع والبصر والفؤاد والجلد...

ماذا يحدث في ليلة القبر الأولى وما سر نشاط هذه الجينات تحديدًا؟!

مات أحدنا إذن.. ووُضِع في قبره... وسمع قرع نعال مُشيعيه يغادرون المدافن... وبقيَ هو وعمله وجهًا لوجه... فماذا يحدث في ليلة القبر الأولى...

تقول الروايات الدينية... إنه ـ ومع آخر فرد يغادر ـ يُبادرك مَلَكان يسألانك من ربك؟! وما دينك؟! وما شأن الرجل المبعوث فيكم؟!... وإنَّ إجاباتك تكون تصديقًا على عملك الدنيوي... فإذا كنت صالحًا كانت إجابتك ربي الله... وديني الإسلام... والمبعوث فينا هو محمد صلى الله عليه وسلم..

حينها يصير قبرك روضة من رياض الجنة.. ويمد الله لك في قبرك حتى ترى مقعدك في الجنة... فتتمتع بجمالها.. وتردد: رب أقم الساعة.. ربي أقم الساعة.. حتى تتمكن من دخولها..

وإذا كنت غير ذلك... عجزت عن الإجابة على أي سؤال فيُبادرك الملكان بالعذاب والألم... ويضيق عليك قبرك... وترى مقعدك في جهنم... فتبقى مُعذبًا متألمًا مرددًا: رب لا تقم

الساعة.. ربي لا تقم الساعة.. حتى لا تصلى بنارها.

هكذا تقول روايتنا الدينية..

نعود إذن إلى بحث دكتور بيتر نوبل أستاذ الأحياء الدقيقة بجامعة واشنطن.. وأحد العاملين بمزرعة الجثث في تينيسى وخبير علم الموت..

يقول دكتور نوبل إنهم اكتشفوا شيئًا في منتهى الغرابة... هو أنه في ليلة القبر الأولى هناك مجموعة من الجينات عددها ١٠٦٣ قطعة جينية... هذه الجينات على غير المعتاد تبقى نشطة... ويزداد نشاطها وكأنها تصحو من سباتها... حتى أربعة أيام بعد الموت... وأبدى الرجل ذهوله الكامل من هذا الأمر... وقال إن ما أثار دهشته حقًّا هو أن نشاط هذه الجينات لا يتبدد خلال هذه الأيام الأربع أو يقل... بل إنها آخذة في الارتفاع... خاصة في ليلة الوفاة الأولى... وأضاف أنه أصبح بإمكاننا أخذ عينات لجينات نشطة جدًّا تزداد غزارة حتى بعد الموت... ويقول دكتور نوبل إن عددًا من هذه الجينات ينمو ويتطور... الأمر الذي يشير بوضوح إلى أن أجسادنا بعد الموت تبدأ بالتحول والعودة للظروف الخلوية التي كنا عليها عندما كنا أجنَّة..

كانت هـذه المعلومـات كلهـا في حـوار صحفـي مـع وكالات أنبـاء عالميـة..

بـدأت بالتحـري الدقيـق وراء أبحـاث دكتـور بيـتر نوبـل... حتـى تمكنـت بصعوبـة مـن الوصـول إلى البحـث الأسـاسي... وكان مـا يشـغلني حقًـا مـا هـي هـذه الجينـات عـلى وجـه الدقـة؟! وإلى عمـل أي أعضـاء الجسـم تعـود هـذه الجينـات؟!

وجـاءت الصدمـة المتوقعـة كالمعتـاد... هـذه الجينـات تخـص الجلـد.. الأعصـاب.. الإحسـاس.. القلـب.. ومناطـق السـمع.. والإبصـار.. والوعـي في المـخ... وتبقـت المنطقـة التـي كنـت أنتظرهـا وأنـا اقـرأ البحـث... وتنهـدت بارتيـاح حـين وجدتهـا وُضِعـت في البحـث في مقطـع مُهمـل... لكنهـا كانـت تعنـي لي الكثـير..

الناصيـة... المنطقـة مـن المـخ تحـت الجبهـة مبـاشرةً (right and left prefrontal lopes).

جينـات هـذه المناطـق تعمـل بنشـاط ملحـوظ بينـما فقـد الإنسـان أي سـيطرة عليهـا... هـذا مـا جـاء في البحـث بدقـة.. وعلميًـا الناصيـة هـي المنطقـة في المـخ المسـؤولة عـن صـدق الحديـث وكذبـه... وعـن الخطـأ والصـواب... وحـين يقـول

الإنسـان الصـدق.. فـإن الناصيـة تنشـط بشـكل طبيعـي ارتياحي دون أي توتـرات مُخيَّـة يتـم ترجمتهـا إلى إشـارات عصبيـة عـلى أجهـزة الرنـين المغناطيـسي أو مـا يُعـرف بــ (functional magenetic imaging)..

أمـا حـين يقـول الإنسـان الكـذب.. فـإن ذلـك يتطلب سـيطرة كاملة من الإنسـان عـلى هذه المنطقة... لابتـكار الكذب... وتخيل أحـداث غـير موجـودة أساسًـا... مـما يـؤدي إلى توتـرات مُخيَّـة زائـدة يتـم التقاطهـا في الناصيـة على أجهـزة الرنـين المغناطيسي..

هـذه هـي المعلومـات العلميـة الموثقـة وهـي الفكـرة التـي تعمـل بهـا أجهـزة كشـف الكـذب الحديثـة مـن الجيـل الخامس والموجـودة في أعتـى أنظمـة المخابـرات العالميـة...

ولكـن الإنسـان فقـد السـيطرة تمامًـا عـلى هـذه المنطقـة مـن المـخ بموتـه... وبالتـالي.. لـو كان هنـاك نشـاط في هـذه المنطقـة فهـو حتـمًا لقـول الصـدق فقـط... الصـدق لا غـير... اسـمع هـذه المعلومـة القادمـة المذهلـة..

في بحـث صـادر عـن جامعـة نيـو أورليانـز في العـام ٢٠١٤ يقـول الباحثـون... إن التجـارب الجديـدة عـلى الدمـاغ بطريقـة التصويـر المغناطيـسي أظهـرت أن الإنسـان عندمـا يكـذب فـإن

دماغه يعمل أكثر وبالتالي يتطلب طاقة أكبر بينما الصدق هو عملية توفير في الطاقة اللازمة لعمل الدماغ..

كانت هذه المعلومات معروفة مسبقًا للمهتمين بهذا المجال في البحث العلمي... لكن أضاف البحث نقطة أخرى استرعت تمامًا انتباه أجهزة المخابرات المهتمة بكشف الكذب حيث يقول البحث إن الدماغ قد تم تصميمه أساسًا على الصدق أو كما جاء نصًّا بالبحث: (truthful is the brain default mode).

الصدق هو النظام الافتراضي الأصلي للدماغ... هو ضبط المصنع بلغة الهواتف الحديثة... وأنه كي تجبر الإنسان على قول الصدق فقط... أفقده سيطرته على المخ... فلن ينطق إلا صدقا... لذا تلجأ أجهزة المخابرات إلى الأدوية التي تفقد الإنسان السيطرة على المخ أثناء التحقيق ليبدأ بقول الصدق فقط... فكيف بفقد السيطرة بالوفاة أساسًا؟

إذا كانت المنطقة الأمامية بالدماغ تنشط تمامًا دون وجود أي سيطرة من أي نوع عليها فهل تنطق إلا صدقًا؟!

بالمناسبة... إذا كانت الناصية هي المسؤولة عن الصدق والكذب والخطأ والصواب... فلا تتعجب أبدًا من قول

الحق سبحانه: «ناصية كاذبة خاطئة».

حسنًا... إذن وجدنا جينات نشطة لمنطقة في الدماغ مجبرة على قول الصدق بعد أن فقد الإنسان السيطرة عليها... ولكي تثبت صدق الرواية الدينية تحتاج أيضًا أن تشاهد سائليك... فتجد مناطق الإبصار من الجينات النشطة. تحتاج أن تسمعهم، ومناطق السمع أيضًا من الجينات النشطة.. تحتاج أن تعي قولهم وأسئلتهم، ومناطق الوعي في الدماغ من الجينات النشطة. فإذا كنت صادقًا تحتاج قلبك لتفرح، والفؤاد من الأماكن النشطة. وإذا كنت غير صالح ستعاني العذاب والألم وقلبًا يحزن، ومناطق الأعصاب الحسيّة والجلد من المناطق النشطة.

قل فلله الحجة البالغة.

أكملت البحث... واستوقفتني نقطة هامة للغاية... أن نشاط هذه الجينات يستمر لمدة أربعة أيام في المتوسط.. فلماذا الأيام الأربعة؟

ولم أكن مذهولًا حين وجدت تقريرًا لمنظمة بحثية علمية في الولايات المتحدة تقول إن ٦٠٪ من حالات الوفاة العالمية يعلم بها أهلها في حينها ويقومون بالدفن في خلال

٢٤ ساعة... و٢٥٪ يقومون بالدفن في اليوم التالي... ونسبة قليلة جدا هي التي تدفن بعد اليوم الرابع... وأن المتوسط العالمي للوقت الذي يمضي بين الوفاة والدفن هو ٣٦ ساعة وأن نسبة أقل من واحد في المية فقط من تدفن بعد اليوم الرابع...

وَلَّد هذا داخلي شعورًا عجيبًا بأن هذا الاستجواب لا يتم إلا بعد الدفن... وداخل قبر مغلق... أما الذين يحرقون جثث موتاهم أو الموتى المفقودون لأيام دون معرفة أحد بوفاتهم فلهم موضع حديث آخر قادم أكثر إذهالًا.

ولكن... الصورة الطبيعية أن النشاط الجيني يستمر لأربعة أيام... وهو ما يشمل الفترة اللازمة للدفن وحدوث الاستجواب في ٩٩٪ من البشر..

تعالوا إذن نتخيل ما يحدث ونطبقه على الرواية الدينية..

وُضعت في قبرك تركوك الأهل والأحباب ومضوا.. ظهر لك ملكان تحتاج إلى الإبصار لتراهم (تنشط جينات الإبصار) يسألانك أسئلة فاصلة تحتاج أولًا لسماعها (تنشط جينات السمع)... ثم تحتاج لتعي هذه الأسئلة (تنشط جينات

الوعـي)... تجيبهـا بـكل صـدق (تنشـط جينـات منطقـة الناصيـة دون أي سـيطرة إراديـة عليهـا فتجـبرك عـلى قـول الصـدق المطلـق)... فـإن كان مصـيرك الجنـة تراهـا بعينـك (النشـطة جيناتهـا)... وتفـرح بقلبـك (النشـطة جيناتـه)... وإن كنـت مـن غـير ذلـك والعيـاذ باللـه، تـري مقعـدك في النـار بعينـك (النشـطة)... وتحـزن بقلبـك (النشـط)... وتتعـرض لـضرب مفاجـئ عـلى الوجـه والدبـر مـن الملائكـة فتتـألم بأعصابـك الحسـية وجلـدك (النشـطين)... ليـأتي إذن هنـا مُنكـري عـذاب القـبر ونعيمـه ليعطونـا تفسـيرًا واحـدًا منطقيًّـا عـن سـبب نشـاط هـذه الجينـات بالـذات دون غيرهـا...

ولكن أين الروح في كل هذا؟!

هـل تشـعر الـروح بتطـورات مـا بعـد الوفـاة داخـل القـبر؟! وهـل تتـأذى أرواح الصالحـين وغيرهـم مـن مشـهد التعفـن الرمـي المقـزز؟! خاصـةً عندمـا تشـاهد أجسـادها البشريـة تتعفـن برائحـة مقيتـة لا يقـوى غـير الطبيـب الشرعـي عـلى تحملهـا وبحكـم الاعتيـاد.

قلنـا في سر سـابق إن الـروح تغـادر الجسـد بمجـرد الوفـاة.. تنسـحب رويـدًا رويـدًا مـن كل أعضـاء الجسـد حتـى تتجمـع عنـد الـرأس... فيُعـرض عـلى الميـت حينهـا «فيديـو» أعمالـه ومـا

قدمه في حياته بنسخة صوت وصورة محفوظة ومخزنة في ذاكرة النفس البشرية... ثم تغادر الروح مع الشهقة الأخيرة لتهيم في عالمها الأثيري الجديد... وبمعايير أخرى للزمان والمكان وبتردد جديد لا يمكن للأحياء التقاطه أو رؤيته فلم يعد يمنعها حاجز أو مكان..

وأنه ومع دخول الجسد القبر تقف الروح بأعلى القبر لتشاهد جثمانها الأرضي مُسجى في التراب... لكن لم يسأل أحد.. لماذا تركت الروح عالمها الأثيري الذي تهيم فيه واتجهت رأسًا مع الجثمان وطافت على رؤوس المشيعين... تستطلع من أتى لجنازتها... ومن حزن عليها حقًّا... ومن دعا لها بصدق... حتى تدخل القبر مع الجسد... لماذا تركت فضاءها الواسع بعد تحررها من سجن الجسد وجاءت للقبر... لأنه حتمًا... لا بد للروح أن تحضر هذا الاستجواب..

ما فائدة استجواب جسد ميت بلا روح؟! وهل كانت هذه الجينات لتنشط هكذا فجأة دون أن تدب فيها روح الحياة؟! هذا ما لم يستطع حتى بيتر نوبل قوله.. هو قال فقط بنشاط الجينات لكنه لم يجرؤ أن يتحدث عن السبب.. وحده (رايموند مودي) مؤسس علم الموت هو من تجرأ من علماء الغرب على توضيح هذا الأمر بكل صراحة... بل

واختاره بجرأة يُحسد عليها عنوانًا لكتابه Life after life... حياة بعد الحياة..

كان لا بد للروح أن تحضر هذا التحقيق لسببين غاية في الأهمية..

السبب الأول: هو أنه ما الفائدة من استجواب جسد ميت ليس به أي علامة من علامات الحياة... لذا كان حتميًّا أن تعود الروح... وعودتها هي السبب الحقيقي لعودة النشاط غير المنطقي لهذه الجينات تحديدًا دون غيرها..

والسبب الثاني: أن هذه الروح أو النفس البشرية هي التي تحتوي على نسخة ذاكرة الأعمال غير المحرفة إطلاقًا، التي استعرضناها في حلقة سابقة، والتي لا مجال معها لإنكار أو مراوغة..

إذن تعود الروح للجسد في القبر... ليبدأ هذا التحقيق والاستجواب الذي قد يستمر لأربعة أيام.. ولكن من رحمة الله بعباده.. أنه بمجرد بدء مظاهر التعفن المؤكدة التي تؤذي النفس البشرية فعليًّا بمشهدها ورائحتها فإن الروح تغادر القبر... ويتوقف نشاط هذه الجينات بأمر خالقها إلى حين... وتعود الروح لتهيم في عالمها الأثيري حولنا كما استعرضنا سابقًا...

هــل وجدتــم الروايــات الدينيــة التــي نــادى مجتمــع العلمانيــين والملحديــن بخرافتهــا حقًّــا؟!

هل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟!

إني ورب محمد قد وجدت ما وعدني ربي حقًّا..

هـل أثـار هـذا المزيـج بـين الديـن وأحـدث الأبحـاث العلمية ذهولكم؟!

مـاذا سـتفعلون إذن عندمـا تطّلعـون عـلى أبحـاث العالِـم الأسـترالي (أليسـون ويلسـون) التـي خرجـت نتائجهـا للنـور منـذ ثمانيـة شـهور فقـط لا غـير... مـاذا سـتفعلون عندمـا تعرفـون نتائـج هـذه الدراسـة التـي أجريـت بكامـيرات غايـة في الدقـة مثبتـة داخـل مقابـر عـلى مـدار سـبعة عـشر شـهرًا كامـلًا في موقـع سري بمركـز أبحـاث أسـترالي قـرب العاصمـة سـيدني.. أُنشـئ فقـط قبـل ثـلاث سـنوات بغـرض هـذه الدراسـة عـلى وجـه التحديـد؟!

مـاذا سـتفعلون عندمـا أخبركـم أن الجثـث تتحـرك داخـل قبورهـا؟!

مـاذا لـو أخبرتكـم بتصريحـات (زانثـا مالـت) الباحثـة في علـم الإجـرام والطـب الشرعـي بجامعـة نيوكاسـل والمشـاركة في

هـذه الدراسـة... عندمـا قالـت نصًّـا: أعتقـد أن النـاس سـيصابون بالدهشــة مــن مــدى هــذه الحركــة.. أنــا التــي كنــت أتوقــع نتائـج مقاربـة أُصِبـت بالدهشـة عندمـا رأيتهـا.. مـاذا سـيفعل النـاس العاديـون.. لقـد كان الأمـر مذهـلًا؟!

هــذا هــو الــسر الســادس إذن... هنــاك صدقًــا مــا يعــرف بليلـة القـبر الأولى... هنـاك ثـواب وعقـاب.. ونعيـم وعـذاب... لم يخلقنـا اللـه سـدى... قـال الديـن ذلـك... وأقـره العلـم اليـوم.

أخـيرًا... أود أن أدون هنـا أنـه وبحكـم الوظيفـة ولأن البعـض يعتـبرني رمـزًا للطـب الشرعـي أمثِّـل بـلادي... وأحـد المتحدثـين في «السوشـيال ميديـا»... فإننـي أجـد بعـض الحساسـية المقيتـة في تنـاول بعــض المقارنــات... لــذا لا أحبــذ أبــدًا التطــرق إلى المقارنـة مـع أي ديانـات أخـرى... أنـا فقـط أتحـدث عـن المـوت بشــكل علمــي موثــق عالميًّــا... وأحــاول ربطــه فقــط بدينــي الــذي اقتنعــت بــه عــن يقــين... ولا أتطـرق أبـدًا لأي ديانـات أخـرى أو عقائـد مختلفـة.. أنـا أتحـدث هنـا باسـم العلـم الـذي اكتسـبته بفضـل مـن اللـه ورحمـة... وبدينـي الـذي وُلـدت ـ محظوظًـا ـ عليـه... وعندمـا كـبرت وقـرأت في جميـع الأديـان حتـى الهندوسـية ازددت اقتناعًـا بدينـي، لـذا أنـا أربـط العلـم بـه وفقــط.. لا أنــا عــالم ديــن ولا داعيــة... فــلا تزجــوا بي في

مواضـع قـد تسـبب ضررًا لي ولغـيري..

ضعـوا كتابـاتي تحـت «مانشـيت» عريـض عـن حقائـق الموت وأسراره مـا بـين العلـم والديـن... ولا تعقـدوا بهـا مقارنـات بـين الأديان.

ليـس هــذا مجـال هــذا الكتــاب... ولا مجــالي أساسًــا للحديـث... وكل مـا يُمكنني قولـه... إننـي فقـط أربـط العلـم بدينــي الشــخصي... وإنــه وفقًــا لمــا علمــت... وتعلمــت... وشــهدت... وأمعنــت..

(والذي نفسي بيده... إننا على الحق المبين).



السر السابع

موت الفجأة

مشهد (١)

- بتاريخ الخميس ٥ مارس ٢٠٢٠

- التجمع الخامس

أم محمود... سيدة سبعينية تبيع دائمًا منتجات الألبان الخاصة بالمزارعين وقاطني الأرياف على حدود التجمع..

تأتي في موعد أسبوعي ثابت.. تجلس على رصيف أعرفه منذ سنوات.. أحبها كثيراً... ويبدو أنها تبادلني نفس الشعور..

تبيع ما معها من جبن وألبان.. ثم تغادر.. ولسانها يلهج بالدعاء طول الوقت لمن يشتري منها ومن لا يفعل..

أحب الجبن الفلاحي كثيراً.. توقفت أمامها بسيارتي.. نزلت إليها بوجه مبتسم كالعادة... وبعض المغازلات المعتادة التي طالما اعتدت مشاكستها بها.. في انتظار هجمة دعائها، الذي لفرط بساطته يخترق القلوب..

استوقفتني عيناها الحمراوان، ووجهها الشاحب بلون أصفر بدا مثيراً للشفقة وهو محاط بلفة طرحتها السوداء..

- في إيه يا أم محمود؟ مالك؟

قالت من بين دموعها» محمود مات.

- لا حول ولا قوة إلا بالله حصل إزاي ده؟

= كان أكبر وِلادي.. في تالتة معهد فني صناعي.. كان كويس خالص ومكانش عنده أي تعب.. وعملتله العَشا وبعد ما اتعشا قالي أنا صدري واجعني... وقطع النفس في ثواني.. جريتناديت على إخواته.. جابوا الإسعاف.. الإسعاف قالوا ده مات.

- إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.. الله يرحمه ويغفرله.

= والله يا دكتور ما كان فيه أي حاجة.. ولا عمره خد برشام حتى.

- كان مُدَخن؟

= آه بس عادي يعني مش كتير.

- الله يرحمه.. اصبري يا أم محمود واحتسبي ده لله.. ده كفيل يدخلك الجنة.

= طب هو مات إزاي يا دكتور؟! نفسي أعرف.

- هي بتبقى غالبًا أمراض قلب يا أم محمود غير مكتشفة وفجأة بتؤدي للوفاة.

= طيـب ولادي التانيـين يـا دكتـور... أنـا خايفـة لايروحـوا منـي.

- ولادك اعمليلهـم فحوصـات عـلى القلـب واطمئنـي عليهـم ويبعـدوا عـن التدخين تمامًـا.. ربنـا يعـافي الجميـع منـه.

أعطيتها ما يناسب هول الموقف... ثم مضيت في شرود...

توجعنـي بشـدة أي أم عندمـا تفقـد وليدهـا... أم مـوسى عليـه السـلام عندمـا تركـت ابنهـا في اليـم بعـد وحـي إلهـي.. وكان عندهـا توقـع مسـبق لخطـر مُحـدق وأيضًـا احتماليـة كبـيرة لنجاتـه بحماية ربانيـة.. ورغـم ذلـك يصفهـا اللـه قائـلًا: «وأصبـح فـؤاد أم مـوسى فارغًـا»... خـرج قلبهـا مـن مضمونـه ووصـف اللـه مـدى وجـع قلبهـا بالفـراغ.. رغـم الوجـود اليقينـي داخلهـا لاحتماليـة نجاتـه... فكيـف بمـن مـات ابنهـا عـلى يدهـا بينـما كان سـليمًا معـافى... وغسّـلته بنفسـها... وطيَّبـت كفنـه بعطرهـا... وبلَّلـت وجهـه بدموعهـا... ثـم أدخلتـه قـبره بنفسـها؟! مـا أقـسى هـذا الوجـع... لـكِ اللـه يـا أم محمـود... وأم كل فقيـد.

مشهد (٢)

- بتاريخ الإثنين ١٠ أغسطس ٢٠٢٠

- التجمع الخامس

أُطالع الفيسبوك... يبدو أن أحد الـ (figures) في «السوشيال ميديا» يُدعى (مصطفى حفناوي) كان يحتفل بنجاحاته في افتتاح مطعم رابع.. ذهب للجيم في موعده المعتاد.. تناول بروتين بناء العضلات.. أنهى فقرة التدريب.. وذهب إلى المنزل.. اشتكى من آلام في البطن.. تم نقله إلى المستشفى الجوي العسكري بالتجمع الخامس..

يبدو من المنشورات أنه دخل في جلطة دماغية... ثم وفاة صادمة لاحقة..

تعاطفًا كثيرًا.. لم أكن أعرف ما هو المحتوى بالضبط الذي كان يقدمه المرحوم حقًّا.. ولكن كإنسان... بديهي أن تحزن على كل حالة وفاة.. خاصةً لشاب في العشرينيات لم يختبر الحياة بعد... ولم تختبره الحياة..

في وقت لاحق... أصدرت المستشفى تقريرًا طبيًّا يبدو منطقيًّا.. وكان محتواه أن المتوفى تناول بروتينات بناء العضلات بجرعات كبيرة بالإضافة إلى بعض العقاقير الأخرى..

مـما سـاعد عـلى حـدوث عمليـة الوفـاة.

قـرأت منشـورًا مؤثـرًا لأحـد أصدقـاء الراحـل كان يعـدد فيـه مآثـره ونجاحاتـه وخططـه المستقبلية.. تأثـرت حقًّـا!

دائمًـا مـا يوجعنـي موت البعـض أثنـاء فرحتهـم بنجاحاتهم... كلـما تذكـرت طـلال مـداح ورمضـان البرنـس وعمـرو سـمير وميرنـا المهنـدس وغيرهـم... الذيـن اختطفهـم المـوت أثنـاء احتفالاتهـم بنجاحهـم... قلقـت نفـسي حقًّـا... ومـا أزال أردِّد قولـه تعـالي: «يَـا أَيُّهَـا النَّـاسُ إِنَّ وَعْـدَ اللَّـهِ حَـقٌّ فَـلَا تَغُرَّنَّكُـمُ الْحَيَـاةُ الدُّنْيَـا وَلَا يَغُرَّنَّكُـم بِاللَّـهِ الْغَـرُورُ».

مشهد (٣)

- بتاريخ الأربعاء ٢٦ أغسطس ٢٠٢٠

- التجمع الخامس

اتصال هاتفي من أحد الأصدقاء المقربين.. يُخبرني بوفاة أحمد.. أحد أقرب الأصدقاء وجار السكن بالتجمع.. توفي إثرَ حادث سير على طريق الإسماعيلية الصحراوي بينما كان متوجهًا هو وزوجته في ثالث أيام زواجهما لقضاء شهر العسل بإحدى المُدن الساحلية على البحر الأحمر.. لكنَّ القدر لم يمهله ليفرح... وانتقاه بعناية.. وترك زوجته العروس تصارع الموت في العناية المركزة.

يا رب! لماذا ينتقي الموت دائمًا أطيب ما فينا؟! وكأنه ينظر إلى نفوسنا بميكرسكوب بالغ الدقة.. وكلما لمح فينا قلبًا استثنائيًا ناصع البياض اختطفه بسرعة مذهلة.. فحَرَمه حياته... وحرمنا وجوده.. وما زلت مع كلِّ موتٍ كما تعلمون أُسائل نفسي عن السر في قصر العمر لأولاد الحلال وطول التمدد لابن الحرام... لماذا يموت بحياتنا دائمًا الذين نريد لهم أن يعيشوا؟! لماذا؟!

موت الفجأة... أو متلازمة الموت المفاجئ... دعونا نُؤصِّل

أولًا للموضوع بشكل علمي بحث نعود بعده لجماليَّة أسرار هذا النوع من الموت...

تُعرف متلازمة الموت المفاجئ أو (Sudden unexpected death syndrome) على أنها حالات الوفاة المفاجئة دون أي أعراض مُسبقة ودون أي أسباب واضحة.

وهناك فارق شاسع ما بين موت الفجأة وتوقف القلب المفاجئ.. فتوقف القلب المفاجئ لا يعني الموت.. وربما يمكن إسعاف المريض بالإنعاش القلبي، الذي أنصح الجميع بتعلمه..

موت الفجأة.. تُذهلني هذه التسمية على وجه الدقة التي أطلقها علماء الغرب... Sudden death.

وكان أول من أطلقها هو «سيِّد ولد ادم» منذ ١٤٠٠ سنة في أحاديث شريفة سنتطرق إليها..

ولكن ما هي أسباب موت الفجأة؟

يُعَدُّ ارتجاف البطينين هو السبب الرئيسي لـ ٨٠ ٪ من حالات الموت المفاجئ... وهو خلل في كهربية القلب يؤدي إلى رعشة أو انقباضات سريعة ضعيفة متتالية في البطينين المسؤولين عن ضخ الدم من القلب إلى جميع أجزاء الجسم

ويعقبها توقف القلب والوفاة..

أما الأسباب الأخرى... فتتعدد ما بين نزيف المخ والجلطات وانخفاض السكر في الدم والهبوط الحاد في الدورة الدموية بأسبابه الكثيرة...

ولكن... ثبت علميًا أن ارتجاف البطينين هو الناتج النهائي المؤدي لحالات الموت المفاجئ..

وينتج هذا الارتجاف عن أسباب كثيرة من أمراض القلب أهمها جلطات الشرايين التاجية وخلل الصمامات...

حسناً... النسبة العالمية المثبتة حاليًا هي ١٩ ٪... ١٩ ٪ من حالات الوفاة المسجلة عالميًا العام الماضي يعود سببها للموت المفاجئ... وقد ارتفعت هذه النسبة بشكل درامي في السنوات الأخيرة... من ٣٪ في عام ٢٠٠٧ إلى ١٩٪ في عام ٢٠١٩... وهو ارتفاع مهول غير معروف السبب.. وصدق سيِّد العالمين إذ قال إن موت الفجأة من علامات اقتراب الساعة... ولم يكن وقتها ـ من ١٤٠٠عام ـ يعرف العرب إطلاقًا ما يُعرف بموت الفجأة.. فلم يذكره شاعر.. أو كاتب.. ولم يُدوَّن في أي سيرة من السيَر...

ولو كان موجودًا عندهم لاعترض المشركون... وقالوا إنه

موجود بالفعل.. لكن من علَّمه شديد القُوى... لم يكن ينطق أبدًا عن الهوى.. بل عن علم... ووحيٍ يُوحى..

ويساعد في خلل كهربية القلب أيضًا اختلال نسب الأملاح في الدم لاسيما الكالسيوم والبوتاسيوم وكذلك بعض أنواع الأدوية والتدخين والكحوليات وأسباب نفسية.. وعند حدوث هذا الارتجاف لا محاولات مُجدية لإنقاذ المصاب إلا بالإنعاش القلبي الرئوي والصدمات الكهربية..

لنُنهي إذن هذا الكلام العلمي الجامد ونعود لأسرار الموت العظمى..

متى خلق الله الآجال؟!

إذا كانت الآجال محددة في اللوح المحفوظ تمامًا كما الأعمال.. فلماذا إذن يُحاسبنا الله على شيء هو سبحانه اختاره بنفسه.. وخطَّه بيمينه... وما دام سبحانه يعلم ماذا نفعل.. وماذا سنفعل.. وكيف نعيش.. ومتى سنموت؟! فعلامَ الحساب؟!

سؤال متكرر في غاية الأهمية.. طالما بحثت له عن إجابة شافية... فلم تُقنعني أي إجابة واحدة... إلى أن وصلت إلى إجابة ارتضيتها لنفسي وديني فكرًا وشعورًا وضميرًا...

أعرف أنني الآن بصدد اختراق أحد (التابوهات) المحرمة من علماء الدين... وأنه وفقًا لهم لا يُمكنك الحديث بحرية عن قدرات الله وعلمه... ولا يمكنك الحديث عن كيف يفعل الله هذا... رغم أن النبي إبراهيم سأل الحق سبحانه عن قدرته.. وقال له: «أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ»، فقال الله: «أَوَلَمْ تُؤْمِن»؟! فأجاب إبراهيم: «بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي».

سأل إبراهيم هذا وهو خليل الرحمن... ومصطفى من المصطفين الأخيار... فلماذا يستنكرون علينا محاولة التفكير وإيجاد إجابات منطقية تُرضى عقولنا وتطمئن بها قلوبنا ويزداد بها إيماننا؟!

لكن كان لا بد وحتمًا البدء بهذه النقطة... حتى نعرف يقينًا لماذا مات مصطفى حفناوي عليه رحمات الله مثلًا في هذا اليوم دون غيره.. وبهذا الشكل دون غيره.. ولماذا يختار الله الموت لبعض الشباب.. وكتب ذلك في اللوح المحفوظ... واختار سبحانه أن يموت هذا الشاب وهو في بدايات حياته.. وحرَمه شبابه.. بينما كتب لآخرين طول العمر، ومتَّعهم بحياتهم وأبنائهم.. لذا كان لا مناص من توضيح هذه البداية..

كنت أشاهد تقريرًا محايدًا عن اكتشافات هوبكنز...

يقول الرجل: إنه باختلاف الوسط الموجود يختلف الزمان والمكان وسرعة الأشياء... فمثلًا.. اليوم على المريخ أطول كثيراً من اليوم على الأرض... وإذا انتقلنا إلى وسط آخر غير وسطنا الأرضي... ربما اختلفت كل المعايير التي نقيس بها الزمان والمكان والسرعات..

كان الأمر يشغلني كثيراً... ثم كنت أتابع بالصدفة فيلم وثائقي بعنوان «الكون.. كما لم تعرفه من قبل» وما استوقفني فيه مشهد واحد... يقول مقدم الوثائقي إنه لو حدث انفجار على سطح نجم يبعد عن الأرض مائة سنة ضوئية فإن هذا الانفجار سيصل ضوؤه لأهل الأرض بعد قُرابة ١٠٠ عام... أي سيعرف أهل الأرض بحدوث انفجار على سطح هذا النجم بعد حدوثه الحقيقي بمئة سنة أساسًا... وهي المسافة التي قطعها ضوء الانفجار في الفضاء حتى وصل إلى الأرض وتمكن أهل الأرض من رؤيته...

فسألت نفسي: متي شاهد الله هذا الانفجار؟!

مؤكد.. شاهده سبحانه في لحظته وعَلِمَه منذ مئة سنة... وهو القائل له أساسًا كن فيكون..

فإذا كان المستقبل البعيد بعد ١٠٠ سنة بالنسبة إلينا

كبشر هو ماضيًا بعيدًا منذ مئة سنة في علم الله..

فلماذا نستعجب إذا قلنا إن الله يعلم أدق تفاصيل حياتنا ويعلم ماذا سنقرر في المواقف ذاتها... وماذا سنختار... وما هو سلوكنا وأعمالنا؟!

وأن جميع مستقبلنا هو أيضًا ماضٍ في علم الله منذ ملايين السنين..

لماذا نضع لله سبحانه ذات المعايير للزمان والمكان الخاصة بنا وهو سبحانه القائل «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير»؟!

لماذا لا يكون مستقبلنا كله ماضيًا في علم الله... شاهده سبحانه.. واطّلع عليه بنفسه... وكتبه في اللوح المحفوظ... وأننا الآن نختار بكامل إرادتنا أعمالنا... ولكن الله بقدرته وعلمه اطّلع على كل ما يكون منّا في حياتنا... بل وما سيحدث يوم حسابنا... وأن حياتنا في علمه سبحانه قد انتهت وتم الحساب... ودخل الجنة من دخل ودخل النار من دخل..

ثم.. إذا وقف طبيب الآن وقال إن هذا المريض سيموت حتمًا بعد خمس سنوات... لأن حالته المرضية لا يمكن لها أن تجعله يعيش أكثر من خمس سنوات... وبحلول العام

٢٠٢٥ سيكون متوفى.. فلماذا نستكبر على الله خالق هذا الطبيب.. وخالق الطب.. الخالق الأعظم... معرفة كل ما كان وما سيكون؟!

عندما وصلت لهذه النقطة.. أن مستقبلك أساسًا ماضٍ في علم الله... تمكنت بسهولة أن أجد تفسيرات منطقية لأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام عن مواقف ستحدث يوم القيامة لأفراد غير محددين كحديث آخر رجل يدخل الجنة مثلاً... ووجدت تفسيرات منطقية لقوله سبحانه وتعالى: «أَتَى أَمْرُ اللَّهِ» بصيغة الماضي...

وقوله «وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا».

وقوله «وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا».

إذن ننتهي من هذا المقطع بمعرفة أن آجالنا مسجلة في اللوح المحفوظ... وأننا نموت في هذا اليوم المحدد في اللوح دون غيره.. وبهذا الشكل دون غيره... لأننا في علم الله مجرد ماضٍ... مُتنا أساسًا وقامت قيامتنا...

نعود ثانيةً لموت الفجأة..

تُعد أول دراسة علمية تثبت أساسًا موت الفجأة في التاريخ هي دراسة العالم والطبيب فرمنجهام (Firmingham

heart study)، التي بدأت عام ١٩٤٨... وذلك لسبب بسيط أنه قبل العام ١٩٤٨ لم تسجل حالات موت مفاجئة إلا فيما ندر للغاية.. ويُعَرّف فرمنجهام موت الفجأة على أنه الموت الذي يتم خلال ساعة من بدء الأعراض.. وانتهى فرمنجهام إلى أن السبب الرئيسي مطابق لما قُلناه بالأعلى وهو خلل القلب.. ولكن يرى فرامنغهام سببًا غريبًا لأمراض القلب... يقول إن عدم الاستقرار النفسي هو السبب الرئيسي لأمراض القلب المؤدية للوفاة المفاجئة... وأنه في حالة وصول الإنسان لحالة من عدم الاستقرار النفسي تصل لدرجة من القوة كفيلة بإحداث خلل بالقلب.. فإنها ستؤدي حتمًا إلى الوفاة.. مهما كانت العناية مشددة.. ومهما تم إسعاف المريض بكل الوسائل المتاحة... لأن هذا النوع من الخلل يتمكن تمامًا من النجاح في مُهمته ويؤدي إلى الوفاة..

وعدم الاستقرار النفسي كلمة ذات معنى كبير لو أخذناها من الجانب الطبي... فالحزن الشديد عدم استقرار نفسي... والفرح المبالغ فيه عدم استقرار نفسي... والكآبة عدم استقرار نفسي... بل والملل والرتابة تعد طبيًّا حالة عدم استقرار نفسي... ولو وصل عدم الاستقرار النفسي للدرجة الكافية لإحداث مرض عضوي فالوفاة حتمية دون أي أعراض مسبقًا... لذا لا تتعجب أبدًا حين يقولون إن فُلانًا

كان فرحًا للغاية بنفسه وبنجاحاته وسقط ميتًا فجأة... وفلان حزن على رحيل شخص مقرب وسقط ميتًا فجأة... وفلان كان طبيعيًا للغاية، هو فقط اشتكى من الملل في روتين حياته وسقط ميتًا فجأة... وكلهم لم يعانوا إطلاقًا من أي أعراض مرضية أيًا كانت... ولكن في الحقيقة كلهم كانوا في حالة من عدم الاستقرار النفسي بلغت درجة من القوة كافية لإحداث خلل بالقلب أدى حتمًا إلى الوفاة.

إذن... وصلنا إلى أن حالات عدم الاستقرار النفسي السابق ذكرها إذا وصلت لدرجة تكفي لإحداث مرض قلبي فهي علامة وفاة مفاجئة مؤكدة..

يدخل في ذلك بالتأكيد ويساعد عليه بعض العوامل المساعدة الأخرى كالتدخين والعوامل الوراثية وأسلوب الطعام والحياة ووجود أمراض سابقة أساسًا لهذه اللحظة المُفاجئة.

ولكن...

هل يشعر المتوفى فجأة بسكرات الموت؟ وهل موت الفجأة رحمة أم نقمة؟

شاهدت أثناء بحثي مئات الفيديوهات لأشخاص ماتوا

فجـأة أثنـاء تصويرهـم..

يُمكننـي القـول إنهـم جميعًـا بـلا اسـتثناء يملكـون نفـس ملامـح الوجـه الدَّهِشَـة.. ملامـح رؤيـة شيء غريـب وغـير مألـوف تصـل أحيانًـا إلى درجـة الرعـب... كـما لاحظـت شيئًا في منتهـى الغرابـة.. العيـون دائمًـا تنظـر لأعـلى حتـى كادت تكـون بيضـاء بالكامـل... وكأنـه ظهـر أمامهـا فجـأة شيء ضخـم للغاية.. فرفعـت بصرهـا لأعـلى مـا يُمكنهـا لرؤيـة تفاصيلـه... قبـل أن تسـقط أرضًـا... بينـما يطغـى عـلى الوجـه ملامـح قـد تبـدو مرعبـة أحيانًـا.. ومطمئنـة حينًـا..

لكنها في كل الحالات متألمة للغاية...

وبعدمـا طالعـت في أحـد الأبحـاث أن ١٠ ٪ مـن مـرضى المستشـفيات رغـم مرضهـم لكنهـم يدخلـون في نطـاق مـوت الفجـأة.. لأنهـم يموتـون أثنـاء اسـتقرار حالتهـم الصحيـة تمامًـا وابتعادهـم طبيًّـا عـن أي خطـر... وخروجهـم مـن العنايـة المركـزة... ثـم يفاجئهـم المـوت بغتـة عـلى غـير المنطـق والتسلسـل العلمـي والطبـي..

بـدأت بالحديـث مـع العديـد مـن الأصدقـاء مـن أطبـاء المستشـفيات والعنايـات المركـزة لأخـذ شـهاداتهم الموثقـة...

وحرفيًّا أذهلتني هذه الشهادات..

يقول أحدهم... إن الذين يموتون فجأة رغم استقرار حالتهم الصحية يمرون قبل وفاتهم بحالة غريبة من الانضباط في كل الفحوصات والتحاليل الخاصة بهم... وحتى الفحص الإكلينيكي.. فتجد مريض عناية مركزة مثلًا بحالة سيئة للغاية... وفجأة استقرت حالته تمامًا.. انضبط التنفس والنبض والضغط ومستوى السكر في الدم ونسبة الأكسجين وكل الفحوصات الطبية تُظهر حالة صحية ممتازة..

فيتم نقله غالبًا إلى إحدى الغرف خارج العناية المركزة... وبعد ساعات يتم استدعاء أحد الأطباء على وجه السرعة فيجد المريض في حالة احتضار كامل... لا تصلح معها أبدًا كل محاولات الإنعاش القلبي والرئوي والصدمات الكهربية..

يقول دكتور عبد الله: إنه من فرط تكرار هذا المشهد يكاد يقسم أن أي حالة مرضية تستقر فجأة على غير العادة وغير المتوقع... يعلم يقينًا أنها مشروع وفاة قريبة... وأن هذا الاستقرار وفقًا للمصطلح الذي استخدمه... (حلاوة روح)..

العديد من الأطباء أيضًا يجزمون بصحة هذا الكلام ولكن كلهم بلا استثناء أجزموا أن الميت فجأة يُقابل

سكرات الموت ربما بشكل أعنف كثيراً من المرضى المتوفين بتدهور حالتهم المرضية..

يقولون إن الأمر يستغرق من دقيقتين إلى ثلاث دقائق منذ الاحتضار حتى الشهقة الأخيرة.. وإنه يبدو على الملامح حينها أقسى حالات الألم... وإن الميت بشكل تدريجي تنسحب منه الروح... بينما الميت بشكل فجائي تُنتزع منه الروح نزعًا..

كلاهما يتعرض للألم... ولكن الحالات ذوي الوفيات المفاجئة لو قمنا بقياسات كهربية وعصبية ربما يصلون في هاتين الدقيقتين إلى مرحلة انهيار عصبي كامل... وصدمة ألم كفيلة وحدها بإحداث الوفاة..

كلهم بلا استثناء أجمعوا على ذلك.. يقول أحدهم نصًّا... إن ملامح الوجه تُعطي نفس الانطباعات التي يعطيها وجه الفرد الذي يتعرض لآلام الحريق..

حاولت كثيرًا الحصول على تفسير منطقي لهذا المشهد المتباين.. أعتقد أن الميت فجأة يُصدم أيضًا بالموت كما يُصدم المحيطون به بخبر موته... وأنه وجد نفسه مواجهًا تمامًا للحظته الأخيرة يصارع بكل قواه... ويتشبث بالحياة... ويحاول مرارًا البقاء فيها دون فائدة..

أما المتوفى في حالة مرضية متدهورة... ربما تولَّد داخله شعور مسبق أن الموت هو حالة انتهاء لكل هذه الأوجاع والآلام... وأن في موته راحة له ولأحبائه... فلما وقف أمام نازع روحه وجهًا لوجه... استسلم للموت في هدوء غريب لأجل هذا كان نزع روحه أقل ألمًا..

لطالما شدّني هذا المشهد... حتى في الطيور والحيوانات.. دائمًا الدجاجة المريضة مثلًا تجدها تموت هادئة منكمشة على نفسها في أحد الأركان.. دون ضجيج أو صخب.. بينما المذبوحة تظل تصارع بمنتهى العنف للبقاء... وتُحدث كمًّا هائلًا من الصخب والتخبط حتى بعد فصل رأسها عنها... كذا الأبقار وكل الحيوانات..

الحياة غالية حقًّا على الأصحاء... الذين فجأة يرون ما لا يُرى... ويكتشفون بغتة أنه حانت لحظتهم ولا خيار آخر أمامهم..

أما المرضى والموجوعون وأصحاب القلوب اليتيمة ومعطوبو الأحلام عندما تحين لحظتهم... يقابلونها بكل ارتياح وهدوء.. يستسلمون في شموخ عجيب.. هم مؤمنون أن موتهم انتقال... وخروج من سجن تعبهم البدني والنفسي إلى حرية المجهول.. هكذا تفكر النفس البشرية..

ولكن بهذه المعايير... هل يُعد موت الفجأة نعمة أم نقمة؟ المؤكد أن أي ألم يُصيب المؤمن يضيف لرصيد حسناته ويأخذ من رصيد سيئاته... لكن أعتقد أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) استخدم مصطلح موت الفجأة لتوصيف علامة من علامات الساعة من وجه علمي... ولم يثبت في صحيح الأحاديث أنه (صلى الله عليه وسلم) استعاذ من موت الفجأة كما يُشاع... لا تقنعني أن موتك فجأة أثناء سجود لله مثلًا أو عمل خير... هو نقمة عليك!

وكما اعتبرت أن مصطلح موت الفجأة هو الأصح من الناحية العلمية... فلذا من الناحية الدينية أعتقد أن التعبير الأدق هو موت الغفلة.. أن يُفاجئك الموت على غفلتك... وأنت على معصية أو تقصير..

كم شاهدت من وجوه كالبدر لأشخاص ماتوا فجأة أثناء صلاة أو عبادة أو حتى في منازلهم... وكم شاهدت وجوهًا مرتعبة لأشخاص ماتوا على معصية..

لا أنسى أبدًا وجه امرأة ماتت تحت تأثير الكحول والمخدرات بينما كانت في حالة زنا مع صديق لها.. وعلى النقيض لا أنسى أبدًا رجلًا مات فجأة في مستشفى كان قد ذهب إليه سليمًا معافى لعيادة مريض... فسقط هو ميتًا

وعاش المريض.. كان من هاتيك النوارس البيضاء التي لا يزعجها شيء حين موتها..

كذا لا أنسى وجه أبي.. ربما كان أبي هو الوحيد في أسرتنا الذي كان لديه معرفة مسبقةٌ بموته... وأنه الوحيد بيننا الذي لم يتفاجأ أبدًا بلحظته الأخيرة..

لذا لا أقول أبدًا... إن موت الفجأة نقمة أو غضب من الله... واستقر في داخلي هذا المعتقد إلى أن قرأت بالأمس فقط حديثًا لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) يتحدث فيه عن موت الفجأة فيقول: «موت الفجأة راحة للمؤمن وأخْذةُ أسَفٍ للفاجر». فاطمئن قلبي.

مصطلح «راحة»... يطابق تمامًا ما استعرضناه من انسحاب الروح بهدوء.. أما مصطلح «أخذة أسف» يطابق تمامًا نزع الروح نزعًا..

لذا خافوا على أي شخص مات فجأة... بينما عانى من آلام رهيبة عند الموت... وظل يصارع من أجل الحياة... تصدقوا عنه، وادعوا كثيرًا له...

وأبشروا تمامًا بأي شخص مات فجأة واستسلم للموت في هدوء غريب..

يقيني... يقيني أن المستسلمين للموت مطمئنون بشكل أو بآخر لرحمة الله... والله عند حُسن ظنهم به... أما الذين يُصارعون من أجل الحياة... ما زالوا في حالة من التردد وعدم الثقة في ما قدموا في حياتهم... لذا دائمًا يُصارعون للبقاء في الحياة لتحسين أوضاعهم الدينية...

يقول الحق: «حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ»...

إذن... تعالوا نلخص ما وصلنا إليه حتى هذه النقطة..

أن الميت فجأة ما كان له أن يموت إلا في هذا اليوم دون غيره... وبهذا الشكل دون غيره... لأن حياتنا ومستقبلنا كله ماضٍ في علم الله... سجّله سبحانه في اللوح المحفوظ قبل أن نكون... وأن الميت فجأة يُعاني سكرات موت أكثر عنفًا وألمًا من الموتى نتيجة تدهور أمراضهم وحالتهم الصحية... وأن موت الفجأة ليس نقمة دائمًا وإنما هو رحمة للمؤمن وأخذ أسف للفاجر... وأن النقمة في موت الغفلة لا موت الفجأة.

نُكمل..

استوقفتني بعض المعلومات الغريبة أثناء بحثي المستمر عن المشاهير الذين تعرضوا لموت الفجأة... ووجدت شيئًا مُذهلًا له منطق استثنائي عجيب... ذاك أن معظم موتى الفجأة يموتون بطريقة تشبه حياتهم كثيرًا...

مثلًا... قاسم آمين الذي نادى بتحرر المرأة وتحريرها في كل مكان... مات بسكته قلبية وهو مستلقي بين فتاتين رومانيتين في حفل خاص..

طلال مداح... مطرب سعودي شهير مات بأزمه قلبية وهو يغني على مسرح المفتاحة بمحافظة أبها السعودية..

محمود المليجي.. الممثل المصري المعروف.. كان يجلس بجوار عمر الشريف في الأستوديو وحين بدأ بـ بروفة مشهد تمثيلي من فيلم (أيوب) أُصيب بنوبة قلبية لم تمهله..

بنيامين فرانكلين... عالم وسياسي أمريكي شهير ومخترع مضاد الصواعق... مات إثر سقوط صاعقة عليه..

وينفرد ويستالا... عالم فيزياء وفلك إيطالي... مات إثر سقوط حجر نيزكي عليه..

مدام كوري... زوجه العالم الفرنسي بيير كوري والحائزة على جائزة نوبل مرتين... ومكتشفة عنصر البولونيوم...

وقامت بعزل الراديوم في حالته النقية... ماتت بتأثير الراديوم المشع عليها أثناء أبحاثها..

جون كيندي... رئيس أمريكي سابق ومؤسس وحدة الاغتيالات بالمخابرات الأمريكية CIA مات في حادث اغتيال..

وغيرهم الكثير جدًّا ممن تجد حالات وفاتهم المفاجئة وجه عملة آخر لحياتهم في تناقض غريب... حتى مصطفى حفناوي نفسه عليه رحمة الله... الذي عمل في حياته على تحقيق أكبر نجاح وانتشار ممكن في السوشيال ميديا... أحدث موته ضجة وانتشار على السوشيال ميديا أضعاف مضاعفة لما حققه في حياته..

وكأن هناك رسالة ما يجب أن تصل للأحياء... وهذه الرسالة التي استقبلتها منذ زمن... وحان وقت وصولها إليكم، ولّدت داخلي بشكل أو بآخر أن موت الفجأة في الأساس موعظة للأحياء... ودعوة مفتوحة للتأمل والتفكير... ووضع النفس في نصابها الصحيح... ومعرفة قيمة ما نعتبره نجاحات في الدنيا من (مال وممتلكات ومناصب)، وكانت الرسالة الإلهية لنا مُحكمة بدقة بالغة... أنهم ماتوا في صورة مطابقة لحياتهم... وأن الذين يعتقدون أن الحياة مال وجاه... وأن القوة فيما تملكه... تقول الرسالة: «قل فلله

القـوة جميعًـا».

أمـا الرسـالة الأهـم.. فهـي سـواء مـوت فجـأة أو مـوت مرضي متـدرج... فأمـر اللـه حتـمًا واقـع... وإنـك ميـت وإنهـم ميتـون.. وكل الـذي فـوق الـتراب تـراب... وأنفقـوا مـما رزقناكـم مـن قبـل أن يـأتي أحدكـم المـوت فيقـول ربّ لـولا أخرتنـي إلى أجـل قريـب فأصـدق وأكـن مـن الصالحـين * ولـن يؤخـر اللـه نفسًـا إذا جـاء أجلهـا...

إذا هـذا هـو سر المـوت الأعظـم صاحـب الرقـم ٧... مـوت الفجـأة ليـس دائمًـا نقمـة... لكـن مـن الثابـت أن مـن يمـرون بـه يعانـون آلامًـا لا يمكـن احتمالهـا بقـدر تشـبثهم بالحيـاة... أمـا المستسـلمون للمـوت في أي وقـت... الذيـن زرعـوا الاستسـلام والتسـليم بلقـاء اللـه داخـل قلوبهـم... فهـم يضمنـون لأنفسـهم ارتقـاءً مريحًـا عـلى أي وضـع يحـين فيـه أجلهـم.

يقـول فضيلـة الإمـام محمـد متـولي الشـعراوي.. إن اللـه سـبحانه وتعـالى لم يجعـل للمـوت سـببًا ولا زمانًـا ولا مكانًـا ولا عُمـرًا بـل جعـل أمـره مجهـولًا ليعلـم المـرء أن اللـه يريـد أن يعيـش الإنسـان في المـوت ولا يغفـل عنـه... بـل جعـل أمـره مجهـولًا... لأن الآفـة التـي يعيشـها الأغلـب أنهـم ينسـون المـوت...

وأضـاف... إنـه يجـب أن يتذكـر الإنسـان حقيقـة المـوت كل وقـت ولا يغفلهـا... حتـى يلقـى اللـه عـلى طاعـة... ويخـاف أن يرتكــب معصيــة فيقبــض اللــه روحــه خلالهــا... مشــيرًا إلى أن المـوت بـدون أسـباب هـو السـبب... فهـو مـات لأنـه يمـوت.





السر الثامن

الموت الوشيك

هـل تخـاف المـوت حقًّـا؟! اقـرأ إذن هـذا البـاب بمنتهـى الدقـة.. لا تـترك منـه حرفًـا واحـدًا رغـم طولـه... لا تـترك حرفًـا واحـدًا... فحتـمًا سـتخرج مـن بابـه الواسـع شـخصًا آخـر تمامًـا... بأفـكار وقناعـات مختلفـة كليًـا عـن تلـك التـي دخلـت بهـا... وبإيمـان قـد يقلـب حياتـك ومخاوفـك كلهـا رأسًـا عـلى عقـب.. هـي ليسـت روايـة بالمعنـى المعتـاد.. ليسـت قصـة عاديـة مـن قلـب المشرحـة.. إنـه المـوت.. الرعـب المقيـم داخلنـا بشـكل خاطـئ... رغـم هدوئـه وسـكينته...

قصتـي بـدأت مـع المـوت بمجـرد تخرجـي مـن كليـة الطـب جامعـة طنطـا حيـث صـادف طلـب وزارة العـدل لعـدد مـن الأطبـاء الشرعيـين، قدمـت أوراقـي في الطـب الشرعـي بعـد سـنة الامتيـاز مبـاشرة وتفوقـت عـلى عـدد مهـول.. وجـاءني خطـاب باسـتلام العمـل بعـد سـتة شـهور. في هـذه الفـترة ولعلـم مديـر الإدارة الصحيـة التـي عملـت بهـا طبيبًـا مقيـما بذهـابي عـن قريـب للطـب الشرعـي، ولخـروج مفتـش صحـة المركـز السـابق عـلى المعـاش في مصادفـة عجيبـة... تـم تعيينـي مفتـش صحـة لأحـد المراكـز بمحافظـة الغربيـة وكان عمـلي الأسـاسي هـو مناظـرة جثـث المـوتى وإعطـاء إمـا تصريـح بالدفـن وشـهادة وفـاة أو تقريـر بوجـود شـبهة جنائيـة وإرسـال الجثـة للطـب الشرعـي. كنـت أعتـبره نـوع مـن التدريـب عـلى معرفـة

سر الموت الأعظم.. وكنت في هذا الوقت أدرس الموت بكل الأشكال. بعد شهرين تقريبًا حدثت واقعة من أغرب وقائع حياتي على الإطلاق...

طفلة عمرها تسع سنوات اسمها أميرة.. طالبة بالصف الثالث الابتدائي وكانت مريضة حمى روماتيزمية تركت على القلب بعض العلامات.. مثل «ارتجاع الصمام الميترالي»... البنت تلعب مع قريناتها في الفسحة الدراسية... ثم سقطت على الأرض بدون حراك أو تنفس أو نبض.. بسرعة جدًّا نقلوها للمستشفى المركزي وقام بتوقيع الكشف الطبي عليها ٣ أطباء أطفال وأعلنوا وفاتها... جاء والدها للمستشفى على عجل... وبدأت إجراءات استخراج تصريح دفن وشهادة وفاة.. ولحسن الحظ كنت مع مدير الإدارة الصحية في مكتبه، الموجود في نفس المستشفى... ألقيت نظرة على البنت، الراقدة كملاك نائم.. لا تنفس، لا نبض، لا إحساس، واتساع حدقة العين.. جميع علامات الوفاة قائمة وقد مر على وفاتها حوالي ثلاثون دقيقة... غطيت وجه البنت بملاءة... وحاولت إنهاء الأوراق بسرعة رأفة بقلب والدها المكسور... أنهيت الأوراق وأعطيت الأب ورقة لختمها من مكتب الصحة.. ثم... حدثت واحدة من أغرب مواقف حياتي على الإطلاق... بعد حوالي خمسة وأربعين دقيقة على

الوفاة تقريبًا... وكان والدها أخذ الورقة وأعطاني ظهره ووصل عند باب المكتب... وإذا بأميرة (تتحرك)!!! تنهض... ثم تقعد وتبدأ بالنزول من على سرير الكشف وتنادي على والدها...

بصرف النظر عن هول الموقف.. كان مشهد والدها وقتها وهو في حالة من الفرح المهول بحياتها والرعب المهول أن يكون مجرد حلم وهو يحتضنها بعنف.. مشهد سينمائي يُبكي البشر والحجر.. كنت في حالة من الذهول المستحيل.. وقتها لم يكن إيماني الرهيب بالماورائيات والمعجزات قد وصل إلى مراحله الحالية.. كنت فرحًا ومذهولًا.. ولم يكدر ذهولي سوى امتعاضي أنه من المستحيل بعد كل هذه الدراسات للموت أن أخطئ في تشخيص حالة.. إضافة إلى ثلاثة أطباء أطفال قاموا بالكشف عليها وأكدوا الوفاة؟... شيء مذهل... بدأت الاستيعاب.. الأب والأهل في حالة فرحة هستيرية.. أخذوا ابنتهم وانصرفوا على عجل... وكأنهم يخطفونها من الموت أو يحمونها منه... ليلًا عرفت منزلهم... وذهبت إليهم... كان لي هدف واحد وسؤال ملح لن أنام الليلة دون إجابة واضحة له...

هو إيه اللي حصل يا أميرة؟

أجابت الطفلة ذات السنوات التسعة بمنتهى البراءة...

- أنا كنت بلعب في المدرسة.. بعدين شوفت نور جامد جدًّا جدًّا لكن جميل أوي.. وكنت في جنينة كلها زرع وبحر و.. و..

ثم تصمت.. كان واضحًا جدًّا أنها تحاول إيجاد كلمات تصف مشاعرها وما شاهدته بينما يصعب عليها التعبير...

أكملت: وبعدين حد قالي إن هيا دي الجنة.. فضلت ألعب فيها وأنا بطير مع أطفال والنور الأبيض الجميل ده واقف بيبصلنا.. وبعدين فتحت عيني لقيت بابا ماشي ناديت عليه وصحيت.

طفلة في التاسعة لا يمكن لها إطلاقا أن تكذب.. حيرتها وذهولها وهي تحاول وصف ما شاهدته دون إيجاد كلمات مناسبة تؤكد صدقها بشكل جازم.. عيناها التي تغيب في حالة شرود بمجرد سؤالها عن المكان الذي شاهدته وكأنها تتذكر أدق تفاصيله دون القدرة على التعبير عنها تخلق داخلك حالة من الذهول العجيب وسؤال واحد يبقى مسيطرًا عليك «ما هو الموت؟» الموت.. هذا العالم الغريب.. هذا الذي قالوا عنه كل شيء ليرعبونا منه ومن موعده.. لنخافه بأكبر قدر ممكن من المهابة.. ليثير داخلنا كل المخاوف والارتباكات على خلاف الحقيقة... ما هو الموت بالضبط؟! وما هي قصة البرزخ ؟!

علميًّا.. الموت هو توقف الكائنات الحية نهائيًّا عن جميع النشاطات والوظائف الحيوية كالتنفس والنبض والحركة والتفكير بشرط عدم رجوع الأعضاء لممارسة وظائفها مرة أخرى.. وهو ما يعرف بالموت البيولوجي.

دينيا.. الموت هو خروج الروح من الجسد وانفصالها عنه والانتقال إلى مرحلة الحياة الأخرى.

أما الموت السريري.. هو حالة الانعدام المفاجئ لدوران الدم في الأوعية الدموية وتوقف التنفس والوعي وباستمرارها يدخل الإنسان في حالة الموت البيولوجي.. كما يمكن المحافظة على بقاء الأشخاص في حالة موت سريري عن طريق استخدام أجهزة التنفس الصناعي الإجباري.

حسنًا.. نخرج من كل هذه التعريفات العلمية الجامدة ونرى ما يحدث تمامًا لحظة الموت.. وما حدث فعلا للذين ماتوا إكلينيكيًّا وتوقفت جميع وظائفهم الحيوية تمامًا.. ثم عادوا للحياة.. والذين يقدر عددهم وفقًا لدوريات علمية أمريكية محترمة ب ١٥ مليون حالة في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها...

ينقسم الموت إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى.. هي مرحلة بدء انفصال الروح عن البدن.. وهي مرحلة الموت السريري التي يمكن العودة منها.. وتستمر دون أن تتجاوز الروح حاجز البرزخ، فإذا تجاوزت هذا الحاجز ماتت بيولوجيًا واستحالت عودتها.. يقول عز وجل في كتابه الكريم: «حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ»..

المرحلة الثانية.. هذا لمن تجاوز حاجز البرزخ «أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ»... وبالرغم من ذلك يذكر القرآن الكريم العديد من القصص لأناس ماتوا وعادوا للحياة «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ» وقال تعالى: «فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ».. كذلك كان المسيح عليه السلام يُحيي الموتى كأليعازر وغيره... وكذلك ضرب موسى عليه السلام بجلد البقرة قتيل بني إسرائيل فأحياه... إذن عودة الموتى للحياة موثق في جميع الأديان السماوية ما داموا لم يتجاوزوا حاجز البرزخ، فإذا تجاوزوه حق عليهم قول الله تعالى: «أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ».

ولكن ماذا قال أولئك الذين عادوا للحياة بعد الموت؟

ماذا شاهدوا؟ وماذا حكوا؟

الطب الشرعي بالولايات المتحدة الأمريكية جهة خاصة غير تابعة للحكومة الفيدرالية ضمانًا لحياديتها.. يحكي لي أحد الأطباء الأمريكيين الكبار والذي يحمل جنسية مصرية أيضًا، وهو رئيس الطب الشرعي بإحدى مدن كاليفورنيا، يقول: عدد الأمريكان الذين مروا بمرحلة الموت الوشيك (Near Death Experience) أو اختصارًا (NDE) قرابة ١٥ مليون حالة مسجلة وهو الرقم المسجل بواسطة لانسيت (The Lancet) الدورية العلمية العالمية الأمريكية.. نسبة ١٨٪ منهم عادوا للحياة وحكوا ما حدث لهم.. ثم يحكي سيادته عن أغرب المواقف اللي حدثت معه في حياته فيقول: في حالة اتعرضت عليا في بدايات عملي في السبعينيات لميت اسمه ديفيد.. أنا اللي كنت شخص علمي وعملي بحت.. مؤمن بأن خلايا الدماغ بتموت بعد ست دقايق تقريبًا ويستحيل عودتها للحياة إلا لو اتحافظ عليها تحت جهاز تنفس صناعي إجباري داخل عناية مركزة.. وجَت حالة وفاة للمركز الذي كنت أعمل به في واشنطن وقتها.. وكان مر على وفاتها تقريبًا سبع ساعات كاملة.. ولأني كنت مقرر إني هشتغل الحالة دي مباشرة طلبت من المساعد إنه يحطها على ترابيزة التشريح.. (طبعًا مش عاوز أحكي

عن الفارق الرهيب بين ترابيزة التشريح بتاعتنا اللي هي عبارة عن حتة حديد ستانلس ستيل وبين ترابيزة التشريح بتاعتهم اللي تفوق في تجهيزاتها ترابيزات غرف العمليات في مستشفى وادي النيل مثلًا ـ أكبر المستشفيات المصرية ـ بمراحل.. كمان مش هحكي عن شكلي وأنا بتابع الفرق بين أجهزتهم وأجهزتنا.. شكلي مثلًا وأنا بشوف الكاميرا اللي بتصور الأنسجة اللي تحت الجلد عشان تظهر لو فيها كدمة بسيطة غير ظاهرة على الجلد من الخارج وأتخيل شكلي وأنا قاعد أشق حتت مشتبهة من الجلد أشوف تحتها انسكابات دموية ولا لأ... أو شكلي مثلًا أنا بشوف الجهاز اللي بيحقن شرايين القلب بالصبغة عشان يطلع مكان الجلطة مثلًا بمنتهى الدقة وفي ذهني صورتي وأنا ماسك القلب وبالمشرط بفتح كل شرايين القلب ببطء لحد ما أوصل للجلطة نفسها.. أو منظري وأنا بشاهد مشرط الليزر اللي بيفتحوا بيه الجمجمة والمنشار بتاعنا بتاع النجار واللي لما اتطورنا جبنا بداله صاروخ بلاط...

من لحظة ما دخلت مشارحهم وأنا بقارن بيننا وبينهم في كل شيء لحد ما دكتورنا في مرة رن جرس المكتب فجاله المساعد بتاعه وهو بيقوله «ييس سير» (Yes Sir) وفي كل كلمة بيقوله «سير» وافتكرت وقتها شعبان وهو بيقول

«أيوة جاااااااي» وبيقولي «يا رياسة» ومن وقتها توقفت تمامًا عن المقارنة وتأكدت إنه مفيش فايدة...

وبالرغم من ده لما بنشتغل بإيدينا قدامهم بنذهلهم على المستوي العملي والعلمي ودقة النتائج...

المهم يكمل دكتورنا الكبير ويقول: بعد تجهيز الأدوات بالكامل فوجئت بحركة بسيطة في أحد أصابع اليد للميت.. تخيلت إنه بيتهيألي.. لحد ما شفتها تاني.. وفجأة لقيت النبض بيرجع وكل العلامات الحيوية بترجع والميت فتح عينيه بعد تسجيل حالة الوفاة بعدة ساعات!!

يحكي دكتورنا عن حالة الذهول التي سيطرت عليه حينها... ولكن ظل المسيطر عليه تمامًا هو ذاته الذي سيطر عليا في موقف مماثل... إيه اللي حصل يا ديفيد!

وكانت وفق أقواله من أغرب الروايات اللي سمعها في حياته... ديفيد أتى جثمانه للتشريح على إثر حادث سير.. بينما كان في حالة سُكْر.. وله سجل جنائي سابق.. وحالة القيادة مخمورًا تستوجب التشريح في الولايات المتحدة... يقول الميت بعد الحادثة خرجت من جسمي... وكنت عبارة عن طيف لا يشغل أي حيز.. وارتفعت لأعلى.. شاهدت نفسي

وأنا منكب على مقود السيارة.. شاهدت الشرطة والمسعفين وهم ينقلونني إلى سيارة الإسعاف... ووصف عددهم بمنتهى الدقة.. ثم ارتفعت أكثر فوجدت نفقًا مظلمًا في نهايته نور ضخم.. نور مبهر كأعلى ما يكون.. شديد الجمال.. لكن لا يؤذي العين أبدًا.. تشعر تجاهه برهبة ومحبة غير طبيعية وكأنه يحتويك.. في النفق.. شاهدت كل أقاربي الموتى.. في نفس هيئتي... وعُرضت عليّ أعمالي كاملة حتى أنني أتذكر الآن بمنتهى الدقة.. متى سرقت.. ومتى كذبت.. ومتى خنت... لكن أقاربي اخبروني أنه لم يحن وقتي بعد.. فعدت لأسفل ووجدت نفسي هنا...

يقول دكتورنا إنها كانت واحدة من اغرب وأعجب الروايات اللي سمعها في حياته من شخص راجع لتوه من الموت... ممدد على منضدة تشريح كان جسده سيتحول إلى أشلاء عليها بعد دقائق... تواصلت مع ديفيد بعدها بفترة طويلة... شهدت تغير تام في حياة الراجل.. أصبح أكثر إنسانية وأفضل أخلاقًا... ومات بعدها ب ١٥ سنة موتة طبيعية تمامًا، بعد أن تبرع بكامل ما يملك لمؤسسات خيرية.

انتهت رواية الدكتور أبو بكر الذي دمعت عيناه وهو يعيد تذكر تفاصيلها وكيف سجل هذه الحالة رسميًا

ووثقهـا... وأنـه أخـيرًا وبعـد عشريـن سـنة مـن حدوثهـا تـم إنشـاء فـرع جديـد مـن الطـب اسـمه عنايـة مـا بعـد العـودة مـن المـوت.. وموجـود في مستشـفيات كبـيرة الـوزن جـدًّا... بـل وبـدأت الدراسـات العالميـة مـن أسـاطير الطـب مـن كل حـدب وصـوب عـن حـالات العائديـن مـن المـوت... كـما سـنرى الآن.

كل التفسـيرات العلميـة الجامـدة لهـذه الحـالات.. هـو أنهـا حالـة هلوسـة في خلايـا المـخ نتيجـة نقـص الأكسـجين أو زيـادة الأندروفـين أو ارتفـاع موجـات جامـا.. وكانـت النقطـة التـي يعجـز جميـع العلـماء أصحـاب هـذه النظريـة عـن تفسـيرها هـي تشـابه جميـع الروايـات بـين جميـع الأشـخاص.. هـل كل خلايـا البـشر تهلـوس بنفـس الشـكل رغـم اختـلاف ثقافتهـا وأشـكالها وحتـى عقائدهـا.. إلى أن جـاء الطبيـب الشـهير وعـالم النفـس الأمريـكي «رايمونـد مـودي» وفجـر المفاجـأة الكـبرى وهـو أحـد أكـبر الأطبـاء في العـالم.. وكتـب كتابـه المذهـل (Life after life) أو حيـاة أخـرى... ويعـد رايمونـد هـو رائـد علـم المـوت الوشـيك (NDE).

ووالله بعـد قـراءتي لهـذا الكتـاب لم أجـد داخـلي سـوى رد واحـد فقـط «قُلْ فَلِلَّـهِ الْحُجَّـةُ الْبَالِغَـةُ ۖ فَلَـوْ شَـاءَ لَهَدَاكُـمْ أَجْمَعِـينَ». أجمـع الملاحـدة في تشـكيكهم في وجـود إلـه... وأكدوا

أن لا أحد مات وعاد ليحكي لنا.. وها هو الرد يأتيهم من واحد من أكبر أساطير الطب في العالم رايموند مودي بألوف الحالات الموثقة علميًا في منظمات محترمة جدًّا ودوريات عالمية.. والحالات كلها موثقة في مستشفيات وتوثق بواسطة أطباء.. أي من أشخاص ذوي تفكير علمي بحت لا مجال فيه لغموض الماورائيات... ووقف العلم عاجزًا وقد آمن الأطباء أن ما قالته هذه الحالات هي أشياء يستحيل علميًّا وعمليًّا أن يخبر بها رجل مسجى على ظهره حتى لو كان في حالة وعي كامل... فما بالك لو كان في حالة موت إكلينيكي.. لسبب بسيط جدًّا.. أنه يصف الأشياء من نقطة مرتفعة.. كلهم وصفوا الأحداث من أعلى... لدرجة أنهم وصفوا المستشفى كلها من أعلى. البروفيسور «ميلفن موريس» الأستاذ الجامعي الكبير في طب الأطفال.. أقام دراسة برفقة ثمانية من زملائه لمدة سبع سنوات كاملة ونشرتها المجلة الدورية الأمريكية لطب الأطفال.. وقد أستوقفني فيها أمران.. الحالة الأولى.. يحكيها عن زميلته في الدراسة «كيم كلار» متخصصة طب الصدمات وهو مجال طبي متقدم يهدف لعلاج الحالات بعد تلقي صدمات كبيرة.. وعندما تم استدعائها في المستشفى التي تعمل بها لعلاج حالة امرأة عجوز ماتت إكلينيكيًّا ووضعت على أجهزة التنفس

الصناعي ثم عادت للحياة بعد أسبوع كامل.. تقول كيم إن المريضة لم تكن مهتمة إطلاقًا بكل النصائح التي أخبرها بها ولا حتى كانت تسمع لي.. كل ما كان يهمها أن تحكي لي ما مرَّت به.. قالت: بمجرد موتي خرجت من بدني.. وارتفعت لأعلى غرفة الإنعاش.. وشاهدت فريق الأطباء وماذا يفعل.. ووصفتهم بمنتهى الدقة.. وكذلك وصفت ما قاموا به.. ثم حلقت أعلى المستشفى وشاهدتها من أعلى لدرجة أني شاهدت مكتبك يا دكتورة كيم بالطابق الخامس عشر ويوجد أعلى نافذته مصطبة إسمنتية عليها فردة حذاء قديمة يبدو أنها سقطت من دور أعلى..

ثم تُقول إنها شاهدت نفقًا ونورًا مبهرًا شديد الجمال في نهايته.. ورأت كل أقاربها.. ورأت كل أعمالها في حياتها.. وإن هذا النور حدَّثها... لكنها لا تتذكر أبدًا ما أخبرها به..

تُكمل المريضة: لكنني أذكر أنني أحببت هذا النور جدًّا.. ثم بعد فترة غادرت النفق وعدت إلى جسدي...

تركتها دكتورة كيم مباشرة وذهبت إلى مكتبها المتواجد فعلًا بالطابق الخامس عشر.. أحضرت أحد العمال الذي تشبث بالنافذة وأتى لها من فوق المصطبة الإسمنتية بفردة حذاء قديمة.. تقول كيم: حينها أدركت أن الأمر حقًّا جدِّيٌّ تمامًا.

الحالة الثانية في دراسة ميلفن موريس المتخصص في تجارب (NDE) للأطفال.. قال أمرًا أبكاني والله.. قال إن روايات الأطفال حين يشارفون الموت تتطابق تمامًا مع ما يشاهده الكبار باستثناء شيئين.. الأول.. أنهم يكونون فور انفصال أرواحهم في منطقة جميلة تشبه الجنة.. والثاني.. أنهم لا تُعرض عليهم أعمالهم على عكس الكبار الذين أجمعوا جميعًا أنهم رأوا أعمالهم جميعها في رؤيا بانورامية..

والله بمجرد قراءتها قلت صدق الله وصدق رسوله القائل «رُفع القلم عن ثلاث» منهم الصبي حتى يبلغ.. الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.. لقد جاءت رسل ربنا بالحق.

حالة أخرى مسجلة.. لشخص ليبي سقط من أعلى جسر معلق في آخر لحظة وأنقذوه.. ودخل من فرط الرعب في حالة موت إكلينيكي.. يقول بعد إفاقته.. لقد عُرضت على أعمالي كاملة في رؤيا في لحظة واحدة... حتى أنني أقسم بالله أنني أعرف الآن كل صلاة أضعتها بيومها وميعادها منذ بلغت..

أما الدراسة الأخرى الموثقة فهي دراسة علمية هولندية نشرت أيضًا في لانسيت.. واستمرت لمدة ثلاثة عشر عامًا

في عـشرة مستشـفيات.. هـذه الدراسـة المعتـبرة كلهـا خرجـت بنتيجـة نهائيـة في آخـر سـطرين فيهـا.. تقـول.. لا يوجـد أي تفسـير علمـي منطقـي عـلى الإطـلاق لهذه الحـالات، وأي تفسـير مـادي لهـا غـير مقبـول عـلى الإطـلاق، وأن الدراسـة بـكل ثقـة تدرجهـا تحـت بنـد الميتافيزيقيـات.. ومـن الحـالات الموثقـة في ذات الدراسـة.. عـن مريـض هولنـدي عجـوز مـات إكلينيكيًـا لمـدة عـشرة أيـام وبعـد عودتـه حـكى كيـف انفصـل عـن بدنـه، وحدَّثهـم بمنتهـى الدقـة عـمَّا كانـوا يفعلونـه.. بـل قـال إن هـذا الطبيـب نـزع طاقـم أسـنانه وأعطـاه لهـذه الممرضـة ووضعتـه عـلى الـرف الرابـع.. وأضـاف باقـي المشـاهدات المعتـادة لجميـع الذيـن شـارفوا عـلى المـوت.

«بـارني كلارك» أول مـن زُرع لـه قلـب صناعـي.. حدثـت لـه حالـة مشـابهة تمامًـا.. كان حينهـا ميـت إكلينيكيًـا.. لم يصـف فقـط مـا قـام بـه الأطبـاء داخـل غرفـة الإنعـاش.. بـل وصـف لزوجتـه مـا قامـت بـه خـارج الغرفـة.. ووصـف لهـا مـا قالـت وهـي تنـدب حظهـا بمنتهـى الدقـة... وأشـار إلى انفصالـه مـن بدنـه وصعـوده لأعـلى نقطـة ومشـاهدة كل شيء مـن أعـلى وشـاهد كل شيء كمـن عـادوا مـن المـوت خاصـة أعمالـه.

«سـام بارنيـا» مؤسـس علـم محـو المـوت وصاحـب كتـاب

(Erasing death) وهـو العلـم الـذي يعيـد ترسـيم الحـدود بـين الحيـاة والمـوت.. يتحـدث في بابـه الأول عن مريض في مستشـفى بنيويـورك معـروف أنـه الأفضـل عـلى الإطـلاق وبـلا اسـتثناء في العـالم مـن حيـث طاقـم أطبـاء الإنعـاش الموجوديـن بـه.. وهـو مريـض أمريـكي إيطـالي الأصـل اسـمه «جـو تيـلاروسي» بعـد عودتـه مـن عملـه أحـس بـألم في الصـدر.. نقلـه أحـد أصدقائـه إلى المستشـفى في حالـة مـوت إكلينيـكي تـام.. جميـع العمليـات الحيويـة والوظائـف الحيويـة صفـر.. وبـدأ فريـق الإنعـاش العمـل مـن صدمـات كهربائيـة وحقـن أدرينالـين.. كان الفريـق مكـون مـن تسـعة أطبـاء.. وتمكنـوا مـن إعادتـه للحيـاة بعـد ٣٠ دقيقـة و٤٥٠٠ ضغطـة صـدر و٨ صدمـات كهربائيـة وعـدد مهـول مـن حقـن الأدرينالـين والميـاه المملحـة البـاردة.. عـاد للحيـاة بعـد ٣٠ دقيقـة.. وقامـوا فـورًا بعمـل قسـطرة قلبيـة لتركيـب دعامـات.. لكـن قلبـه توقـف مـرة أخـرى.. فبـدأوا الإنعـاش مـن جديـد.. وعـاد مـرة أخـرى بعـد ١٥ دقيقـة.. فوضعـوا الدعامـات...

وعندمـا أفـاق وعـاد للحيـاة.. كان شـارد التفكـير وغـير مهتـم بـأي شيء عـلى الإطـلاق.. فاسـتدعوا دكتـور سـام المتخصـص والـذي يعمـل في مجـال الـ (NDE) في ١٧ مؤسسـة أمريكيـة.. يقـول دكتـور سـام.. قابلـت الرجـل فوجدتـه يحدثنـي عـن

تجربة شغوف بها.. يقول المريض.. كنت حين موتي واعيًا تمامًا لكل ما يحدث.. ولكن أعلى الغرفة.. وهذا الطبيب هو من كان يقوم بضغطات الصدر.. وهذا كان يعطيني الحقن.. وهذا قال كذا.. وهذا فعل كذا... وحكى كل شيء... يقول أنا تغيرت تمامًا بعد هذه التجربة.. أصبحت أعي تمامًا هدفي في الحياة.. حياتي كشخص طيب.. كصاحب خلق.. كزوج.. كأب.. كصديق.. كمحب للخير.. متخلص من كل حقد وغل وكره...

يقول سام بارنيا نصًّا.. عاد مثل كل الذين عادوا.. أقل مادية وأكثر إيثارية..

يكمل المريض ويقول.. رأيتني كائنًا روحيًّا عبارة عن طيف، ورأيت أمامي كائنًا آخر عبارة عن طيف بلا شكل ولا كتلة.. كائن مضيء كما نتخيَّل الملائكة، شعرت بمحبته.. وكان محبًّا ومتعاطفًا.. أشعرني بالسكينة.. ورغم كل حزني على ما فاتني في هذه الحياة دون عمل خير.. إلا أنني سعيد جدًّا لأنني الآن أعرف أين سأذهب عندما أغادر للضفة الأخرى.. لم أعد أخشى الموت أبدًا.. أصبحت أحبه بجنون.

ظهرت أيضًا حالات لأشخاص كانوا أوغادًا ومجرمين في حياتهم ومروا بذات التجربة.. تجربة الموت الوشيك.. يقول

أحدهـم.. رأيـت عذابًـا وويـلًا وجحيـمًا ونـيران.. وأشـخاص كنـا نعرفهـم يجذبوننـا إلى الجحيـم.. وعندمـا عـادوا تغـيروا تمامًـا وكلـما تذكـروا الموقـف يبكـون بعنـف ويتأسـفون للجميـع.. أحدهـم كان روسـيًا ملحـدًا.. عـاد منهـا مؤمنًـا تمامًـا بوجـود إلـه وبعـث وثـواب وعقـاب.

كل الحكايـات أثبتـت أن المـوت انتقـال.. انتقـال بـكل أعمالـك ونواياـك وذكرياتـك وضمـيرك.. يقـول رايمونـد مـودي مؤسـس علـم المـوت الوشـيك.. الذيـن عـادوا مـن المـوت شـبهوا حالهـم بتشـبيه مـن اثنـين.. إمـا أنهـم عنـد موتهـم شـعروا أنهـم فـروا مـن سـجن.. أو إنهـم عنـد موتهـم شـعروا أنهـم عـادوا إلى بيتهـم الدافـئ.

«الفريـد جـول ايـر» الملحـد الكبـير.. صاحـب نظريـة الوضعيـة المنطقيـة.. والفيلسـوف الإنجليـزي الشـهير.. في عـام ١٩٨٨ أصابـه اختنـاق ودخـل في حالـة المـوت الوشـيك.. فقـال تجربتـي هـذه عرفتنـي كـم كنـت غبيًـا حـين شـككت في وجـود إلـه. الكثـير مـن العلـماء والأطبـاء الذيـن تعرضـوا للمـوت الوشـيك.. جميعهـم بـلا اسـتثناء عـادوا يؤكـدوا أنـه لا يوجـد أي تفسـير علمـي لمـا حـدث.

«ايـبن اليكسـاندر» في ٢٠١١ وهـو أسـتاذ الأعصـاب الشـهير

شارك في سيمينار علمي في دولة الاحتلال الصهيوني وهناك تعرض لموت إكلينيكي لمدة أسبوع.. ثم عاد فكتب كتابه الشهير (Proof of heaven) وهو أحد أهم الكتب في علم الموت الوشيك.

«جيك» مهندس طيران متقاعد.. عاد من الموت وكان يعمل بعد تقاعده في إطفاء حرائق الغابات.. يحكي قصته فيقول.. إنه أثناء إطفاء النيران ونحن أعلى جبل انعكس اتجاه الريح فجأة وحاصرتنا النيران من كل جانب.. وشاهدت أجساد زملائي تأكلها النيران وآخر ما أتذكره أنني كنت أصرخ.. إنني أموت.. وفجأة خرجت من جسدي.. وصعدت لأعلى.. وشاهدت جسدي على الأرض.. وكذلك أجساد رفاقي.. ووجدت أرواح رفاقي تطوف حول جثثها.. وحدثتهم وحدثوني حتى أن أحدهم كان بقدمه عيب لكن طيفه خلا من هذا العيب.. تم إنقاذ جيك الذي قال إنه أصبح شخصًا آخر تمامًا.. أكثر إيمانًا بكثير مما كان.

حسنًا.. إذن هناك جسم أثيري مفارق.. صعد لأعلى.. وراقب المشهد كله من أعلى نقطة... بكل وضوح.. هل يرانا الموتى حقًّا؟ هل هم حولنا الآن؟ هل أعز من فارقك يحلق فوق رأسك الآن يشاهدك وأنت تقرأ؟ هل أبي هذا

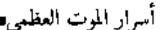
الراحل النبيل يراني الآن وأنا عنه أكتب؟! هل يشعرون بنا حقًّا؟ هل يعرفون حالنا؟ كيف؟ كيف لنفس أن تخرج من جسدها وتترك خلفها جسدًا فارغًا ميتًّا؟! هذه الروح التي تحوي الضمير والذكريات والنوايا والأعمال تخرج لحياة أخرى.. وتترك خلفها هذا الجسد بلا أي روح.. هل عرفتم لماذا تتحلل الأجساد وتتعفن؟ لأنها أصبحت رمّة لا فائدة منها.. فقد خرج منها الأهم.. خرجت الروح... «وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي».. خرجت نفخة الله من الجسد فأصبح بلا فائدة.. أصبحت طيفًا لا تحده الأمكنة ولا الفضاءات... ويجول في الأفق بحرية تامة.

أغرب ما تعمدت عدم ذكره.. في كل الحالات التي سردتها وتركتها للنهاية.. أنهم جميعًا أجمعوا أنهم أحبوا الموت جدًّا.. أنهم لا يخافون الموت أبدًا... وأنهم سيقابلونه بمنتهى الهدوء والسكينة والطمأنينة.. وأنهم سيكونون في راحة مطلقة هناك مع الطيبين من أقاربهم وأصدقائهم.. وأنهم ينتظرون رؤية هذا النور بشغف كبير.. لقد آمنوا جميعا بأن الموت انتقال وليس نهاية.. انتقال لحياة أخرى تُعرض عليك فيها أعمالك.. في انتظار يوم الحساب.. لكنها حياة هادئة مطمئنة للطيبين.. وحياة مؤلمة مدمرة للأشقياء.

كذبــوا علينــا إذن.. حــين أخبرونــا أن المــوت هــو البعبــع الكبير.. الموت هـو مجـرد انتقـال لحيـاة أخـرى.. مجـرد خـروج مــن ســجن.. مجــرد عــودة إلى بيتــك الدافــئ بعــد أن أنهيــت اختبــار الحيــاة...

فضيلـة الإمـام محمـد متـولي الشـعراوي وهـو عـلى مشـارف المـوت يحـكي ابنـه عبـد الرحيـم أنـه استقبل عـلى سريـره أرواح كبـار الصحابـة، وحـين قـال الإمـام رحمـة اللـه عليـه «ده كتـير عليـا تجيـلي بنفسـك... أشـهد أنـك رسـول اللـه» فاضـت روحـه إلى بارئهـا... وبالعديـد مـن المواقـف الشـخصية ثبـت لي يقينًـا أن الميــت لحظــة موتــه يشــاهد أقاربــه المحببــين يطمئنونــه ويســتقبلونه في حياتــه الجديــدة..

أحبــوا المــوت... وطمئنــوا أهاليكــم... طمئنــوا المــرضى... طمئنــوا العجائــز وكبــار الســن... أحبــوا المــوت... المــوت ليــس مرعبًـا أبـدًا... المـوت مجـرد انتقـال... أحبـوه... فقط اعملـوا لهذا اليــوم بجــد.. اضمنــوا لأنفســكم لقــاءً مريحًــا... وارتقــاءً طيبًــا... اضمنــوا نفقًــا مبهــرًا... وحبًّــا للنــور الأعظــم.. زينــوا حياتكــم بأعمالكـم... لا تـؤذوا أحـدًا أبـدًا... كلنـا كبـشر في رحمـة اللـه... إلا أولئـك الذيـن آذوا النـاس وعاثـوا في أرض الله فسـادًا... عليكم أنفســكم.. لا تــؤذوا أحــدًا.. انزعــوا مــن قلوبكــم الحقــد والغــل



والحسد... وأحسنوا ظنكم بربكم.. أضمن لكم ارتقاءً مريحًا...

فقط لا يلزمكم للاستعداد لهذه اللحظة إلا حسن الخلق وخير العمل... أما الباقي كله فـ (على حسن ظننا بالله)، والله عند حسن ظن عباده به.





السر التاسع

إشارات الموشكين علي الوفاة

في ليل العاشر من ديسمبر لعام ٢٠٢٠... نُشر النص التالي على السوشيال ميديا على صفحة رجل فاضل من أسيوط يقارب الخمسين من العمر... وقد رحل عن عالمنا بعد أن نشره بحوالي خمسين يومًا بالتمام...

«حاجه غريبة، كنت بمدينة أسيوط اليوم قبل أذان المغرب مباشرة، وكنت أصعد سلم الكوبري الرابط ما بين شارع المحطة وشارع الهلالي ففوجئت بثلاث فتيات في سن المراهقة، إحداهن نظرت لي نظرة غريبة ونظرت إليها ولم أعلق، وبعد نزولي السلم نظر لي رجل نفس النظرة، واتجهت ناحية شارع رياض، وهي مسافة لا تزيد عن خمسين مترًا، فنظر لي آخر نفس النظرة، فاستغربت وعدلت ملابسي لعل هناك شيئًا غير طبيعي في ملبسي، وعند دخولي شارع رياض نظر لي نفس النظرة رجل خمسيني وقور، نفس النظرة، فاستوقفته وسألته لماذا تنظر لي هذه النظرة، وكثر قبلك، فصعقني برده «مكتوب على وشك كلمة ميت» فتركته ولم أعلق ولكني تلفت بعدها مباشرة فوجدته ينظر لي باستغراب.

الغريب أنه بعد دقيقة واحدة دخلت محلات وتعاملت مع أناس ولم يلحظوا شيئًا وكأن بسؤالي وتفسير الرجل الأخير

انقطع كل شيء.

حد عنده تفسير لما حدث".

أبا الزهراء

***

دعوني أعتبر تفسير هذا اللغز الغامض بمثابة سرٍّ من أسرار الموت العظمى كان سيُكشف عاجلًا أو آجلًا... أو على وجه الدقة... دعوني أعتبر هذا النص تدريبًا عمليًّا لكم عن كل ما استعرضناه سابقًا في سلسلة أسرار الموت العظمى... ربما بنهايته تملكون القدرة على استقراء رسائل روحية كانت ـ أساسًا ـ من أهم أهداف هذه السلسلة...

ودعوني أيضًا هنا أعلِّمكم شيئًا ـ قد يُفيدكم ـ عن كيفية تناولي لهذه الأمور الماورائية والتعامل معها...

ولكن أولًا دعونا نتفق على شيئين رئيسيين...

الأول: أن هذا الرجل «أبا الزهراء» كان أحد رجال الله على الأرض... وبينه وبين الله سرٌّ ما لن يعرفه أحد أبدًا... وليس ذلك بسبب مشاهداته وشهادته ما قبل وفاته... وإنما لأن هذه الشهادة وما أحدثته من ضجة مهولة

على السوشيال ميديا... كانت سببًا أساسيًّا في تلقِّيه ملايين الدعوات بالرحمة والمغفرة.. وما كان الله ليُلهم عبدًا أن يكتب نصًّا كهذا في حياته لم يصل إلى عشرين إعجاب ليُحقق له بعد وفاته ملايين الشير والتعليقات مُستمطرًا على صاحبه ملايين الدعوات... إلا لأن الله أراد أن يغفر له بل ويُعلي درجته.. وأن هذا الرجل كان بينه وبين الله ما جعل الله يُلهمه كتابة هذا النص البسيط.. الذي قد يكون سببا أوَّليًا في غفران ذنبه ووجوب رحمة الله له.. بهذا الكم المذهل من الأدعية التي خرجت بظهر الغيب من قلوب لم تعرف الرجل أبدًا في حياته ولم تلتقي به قطعًا يومًا ما... لذا أنا على قناعة مطلقة أن كتابة «أبا الزهراء» لهذا النص كان من علامات حُسن خاتمته ومن تكريم الله له بعد موته إذ ينتشر هذا الانتشار ويستجلب له كل هذه الدعوات الصادقة...

ومن هذا المنطلق سأدخل للأمر الثاني: وهي افتراضية الصدق المطلق لكل ما تفوَّه به الرجل... فلا يُمكن لعبد من عباد الله رضي الله عنه كل هذا الرضا ليُمطره بدعوات المسلمين في شتَّى بقاع الأرض إلا وقد نطق صدقًا... فلا يُمكن لكل هذا الحق بعد وفاته أن يكون بُني على باطل في حياته... فأهل الحق دائمًا لهم طريق واحد... وكما أن ما

بُنـي عـلى باطـل فهـو باطـل... فبديهيًّـا... مـا نتـج عنـه حـق... فهـو حـق... ولا يمكـن أخـذ روايـة الرجـل أبـدًا عـلى أنهـا رُؤيـا مناميـة... أو أنهـا سرد أدبي... ببسـاطة لأنـه سُـئل مـن أحـد أصدقائـه بمجـرد نـشر البوسـت... إذا كان هـذا القـول حقيقـة أم سرد أدبي.. فأجـاب بأنـه حقيقـة... وبالتـالي أنـا عـلى قناعـة تامـة أيضًـا في هـذه النقطـة أن الرجـل وصـف مـا شـاهده حقًـا... وأنهـا لم تكـن هـلاوس أو رؤيـا أو أوهـام كـما أشـار البعـض...

كان لا بُـدَّ مـن تدويـن هاتـين النقطتـين قبـل البـدء في طـرح مـا عنـدي.. وذلـك لإغـلاق بـاب النقـاش بشـأن روحانيـة الراحـل وبشـأن صـدق حديثـه...

لحظـة أن قـام أحـد الأصدقـاء بإرسـال هـذا النـص لي لقراءتـه.. لم أكـن أعـرف مُسـبقًا أي معلومـة بشـأنه... وبمجـرد انتهـائي مـن قـراءة آخـر حـرف فيـه.. قلـت لـه مبـاشرة هـذا الرجـل مـات، صحيـح؟!

أجاب في ذهول: لماذا تقول ذلك؟!

قُلت: رسالته واضحة...

وبـدأت بعدهـا فعليًـا في البحـث وراء الأمـر... تأكـدت مـن شـخصية المتـوفى أنهـا شـخصية حقيقيـة وليسـت وهميـة...

تأكـدت مـن مقـرٍّ إقامتـه بأحـد نجـوع محافظـة أسـيوط... تأكـدت مـن وفاتـه.. والنعـي الـذي نُـشر لـه عـلى لسـان أخيـه وعـلى صفحـة اجتماعيـة خاصـة بالقريـة التـي يقيـم بهـا.. وأصبحـت عـلى قناعـة مطلقـة أن الأمـر روحـاني جلـل... ومـا كان لأمـرٍ كهـذا أن يمـرَّ عـليَّ دون دراسـة فاحصـة...

حسـنًا... مـع تأكـدي مـن شـخصية الرجـل.. وقناعتـي المطلقـة التـي دوَّنتهـا أعـلاه بعلاقتـه الاسـتثنائية مـع ربـه.. ومـن الصـدق المطلـق لحديثـه الـذي فسَّرتـه الأيـام ووضحـت خبايـاه ورسـالاته الغامضـة... بـدأت التفكـير العميـق أولًا... ثـم وضـع تصـور مُقنـع... ثـم البحـث خلفـه...

وربمـا هـذا هـو أهـمُّ مـا أريـد تعليمكـم إيـاه الليلـة... كيف تتلقَّـى رسـالة روحانيـة وتعمـل عـلى تفسـيرها... ولـو فقهتـم مـا سـأقوله هنـا لـن تمـرُّوا بهـذا المـأزق أبـدًا مـرة أخـري... ببسـاطة لأنكـم سـتُفسِّرون هـذه الرسـائل الروحانيـة فـور قراءتهـا... ولـن تنتظـروا مـوت صاحبهـا ليلفـت نظركـم إليهـا... بـل سـتدركون المغـزى والمـراد لـو تكـررت أمامكـم ثانيـةً فـور وقـوع أعينكـم عليهـا.. وسـتعرفون أنهـا ليسـت مجـرد نـص.. بـل رسـالة مـن موشـك عـلى المـوت سـتفهمونها فـورا... وربمـا تغـيَّر الكثـير جـدًّا مـن علاقاتكـم بأقربائكـم وأحبائكـم الذيـن يبثـون إليكـم

رسائل مشابهة حال مرورهم بذات الفترة العمرية الأخيرة... وربما بعد متابعتي للتعليقات التي كُتبت فور نشر الراحل لهذا المنشور أثناء حياته... أعجبني بشدة تعليق صديقه الذي سأله هل هذا النص حقيقي أم سرد أدبي... وعندما أجاب عليه «أبا الزهراء» أنه نصٌّ حقيقي... التقط الرسالة فورًا... وقال له أحسِن في ما بقي من عمرك.. إني أراها بُشري من الله لك... لقد تلقّى الصديق الرسالة وفهمها فورًا وقال ما كان يريد «أبا الزهراء» أن يسمعه تمامًا... وهذا سأشرحه لاحقًا...

بدأت تحليل رسالة الرجل وكشف خباياها لوضع تصور مبدئي أولًا ثم السعي لإثباته.. وكأنها قضية جنائية بحتة...

دعونا نعود قليلًا إلى السر الأول من هذه السلسلة والتي اخترت لكم نصًا منها المقاطع التالية 👇

بدأت في مراجعة مواقف الموتى الأخيرة معي ودراسة كلماتهم الأخيرة وما قد تحمله من أوجه وإشارات، وكان الأمر مذهلًا حقا...

كلهم بلا استثناء يحمل حديثه قبل موته لكنه حديث استثنائي، لم تكن موجودة أبدًا في حياته الاعتيادية...

بدأت بهوس جمع المكالمات الأخيرة المسجلة لأشخاص ماتوا فور إجرائها... كلهم بلا استثناء أجمع الشهود والمعارف أنهم لم يكونوا في وضعهم الطبيعي في هذه المكالمة... لم يكونوا في حالتهم المزاجية المعتادة... إمَّا كانوا أكثر تفاؤلًا وإشراقًا... أو أكثر تشاؤمًا ويأسًا... وَصَفَ المعارف المكالمات بأوصافٍ عدّة.

لكن الثابت في كل أوصافهم أنها أبدًا لم تكن مكالمة طبيعية اعتيادية لذات الشخص... أبدًا!!

بدأت أجمع الشهادات الموثقة من كل حدبٍ وصوب... بدأت أستمع للمكالمة الأخيرة المسجَّلة وأقارنها بمكالمات أخرى... حتمًا فارق شاسع بين الطريقتين في الحديث... هناك شعور غامض ما... تشعر دائمًا أن الميت كان في كل جملة على وشك قول شيء ما لكنه لم يقله حقًّا... وتراجع في آخر لحظة...

على مدار المحادثة... تشعر وكأنه أوشك أن يقول شيئًا ما ثم صرف النظر عنه... رهبة غريبة تشعر بها وأنت تستمع للمكالمة الأخيرة لشخص مات بعدها بدقائق.

علميًّا وعمليًّا يشعر الميت باقتراب أجله... ربما لا يكون الشعور صريحًا، ولكن في حكم المؤكد أنه قبل وفاته بأسبوعين على الأقل يستشعر أن هناك تغيرًا جذريًّا ما في

كيميـاء جسـده... وأنـه بصـدد الدخـول في موقعـة مـا...

يكـون الموشـك عـلى الوفـاة في حالـة مـن اليقـين أن هنـاك شـيئًا صاعقًـا سـيحدث لـه قريبـا... ووحدهـم مـن أراد اللـه لهـم الهدايـة هـم مـن يترجمـون هـذه الإشـارات إلى اقـتراب الأجـل... ولا يتعاملـون معهـا عـلى أنهـا تغـير نفـسي طـارئ... فيبـدؤون في إعطـاء الإشـارات أيضًـا لمـن حولهـم بأنهـم أوشـكوا عـلى الرحيـل... يصبحـون أكـثر طيبـة... وأقـل عدوانيـة... وأعـلى روحانيـة... وأكـثر هـدوءً... وتقبـلًا لقـرار جسـدهم الأخـير...

وعملية الموت تتم على مرحلتين...

- المرحلـة الأولى أو مـا نسـمّيها الاحتضـار النشـط... والتـي تتحـضر فيهـا الخلايـا لقفزتهـا الأخـيرة... بعدمـا تستشـعر اقـتراب موعـد تفجيرهـا الـذاتي وأجلهـا... فتبـدأ بإرسـال الرسـائل التحذيريـة الكيميائيـة للمتـوفى عـلى مـدار فـترة تقـارب الأسـبوعين عـلى الأقـل... قبـل الدخـول في المرحلـة الثانيـة..

- والمرحلـة الثانيـة هـي مرحلـة الوفـاة الفعليـة أو مرحلـة الاحتضـار الحتمـي النهـائي...

ويشـهد المتـوفى في الفـترة مـا بـين المرحلتـين تغـيرًا ملموسًـا وواضحًـا في شـخصيته... قـد يكـون تغـيرًا إيجابيًـا مذهـلًا... أو

سلبيًا أكثر إذهالًا... وقد يقلب هذا التغير شؤون حياته كلها رأسًا على عقب...

وربما بهذا التصنيف وجدت تفسيرًا أكثر ملائمة لقول الله تعالى: «هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ».

فتشير الآية الكريمة إلى وجود أجلين... أجل.. وأجل مسمًى.

وبالتالي ازداد في يقيني أن قوله تعالى في «أجل.. وأجل مسمى» أن الأجل الأول هو بدء مرحلة الاحتضار أو هو عملية الاحتضار النشط... والتي يصبح فيها الموشك على الوفاة قريبًا جدًا من الموت... أو على وجه الدقة ميت يمشي على الأرض...

والأجل المسمًى هو لحظة التفجير الذاتي للخلايا وحدوث عملية الاحتضار الحتمي النهائي وخروج الروح بالكلية من الجسد...

فإما أن تصبح في فترات احتضارك النشط أكثر طيبة وهدوءً وأقل عدوانية... فهذا يعني أنك حتمًا كنت طيبًا وهادئًا وروحانيًا في حياتك... ولكن ليس للدرجة المثالية... ثم حين اقتراب تفجير خلاياك الذاتي... يكافئك جسدك

برسالته الكيميائية الأخيرة... فيسموا بروحك ويوصلك لدرجة المثالية في كل الصفات الطيبة التي كنت تمتلكها حقًا... ويجعلك أقرب كثيرا من الله عن أي وقت مضى...

وإمّا أن تُصبح في فترات احتضارك النشط أكثر قلقًا وتوترًا وعدوانية... فهذا يعني أنه كان لك سجل حياتي مادي عصبي متعلق بالدنيا وأرقامها وحساباتها أكثر من تعلقك بالله... ثم حين اقتراب التفجير الذاتي لخلاياك... تلك التي أنهكتها أنت في حياتك فكرًا وتوترًا وعصبية حتى أرهقت جسدك... تُعاقبك هذه الخلايا برسالتها الكيميائية الأخيرة... فتضيف المزيد من القلق إلى قلقك... والكم الهائل من البؤس إلى حياتك البائسة أساسًا... والتشاؤم غير المبرر من كل شيء...

يعرف الطيبون أنه آن أوان لحظتهم الحاسمة أخيرًا... ويبدؤون بتنبيه من حولهم بكلمات تحمل هذا المعنى دون تصريح مباشر... بينما يعتقد البائسون أنهم فقط يمرُّون باضطراب نفسي طارئ عميق... ويضيعون فرصة التحذير الأخير كما أضاعوا العديد من الفرص في حياتهم.

حسنا... كان لا بُدَّ من إعادة عرض هذه المقاطع مرة أُخرى... حتى يصل إليكم سرُّ الموت الأعظم الجديد... وأريد

الخروج من إعادة عرضها بثلاث نقاط رئيسية.. بُنيت على ما سبق سرده بخصوص الراحل الجليل باعتباره رجل من رجال الله الطيبين على أرضه...

- النقطة الأولي: أنه ـ رحمه الله ـ كان في مرحلة الاحتضار النشط... في الأجل الأول الذي يسبق الأجل المُسمَّى... ولأنه كان من الطيبين الأكثر تعلقًا بالله.. فقد أتت رسالته الكيميائية الأخيرة لتسمو بروحه وتجعله أكثر روحانية وشفافية وتعلقًا بالله...

- النقطة الثانية: أنه ـ رحمه الله ـ كان على يقين مطلق باقتراب أجله واستطاع بإلهام من الله ترجمة رسالة جسده الأخيرة بشكل صحيح... وعرف أنه مُقبلٌ على لقاء ربه... وأصبح أكثر سموًّا وتقبلًا لقرار جسده الأخير..

- النقطة الثالثة: أنه ـ رحمه الله ـ كان ككل الطيبين من الموتى... يُحاول بث رسائل تحذيرية غامضة لمن حوله دون تصريح واضح.. كان يُريد أن يقول شيئًا ما... فلربما يلتقط أحدهم سرّه فيُبشرّه أو ينصحه كما فعل بالضبط صديقه الذي التقط الرسالة ونصحه وبشرّه...

ومن هذه النقاط الثلاث التي بُنيت على سابقيها

في تسلسل منهجي بديهي... كان فك طلاسم هذا النص الغامض...

وسر الموت الأعظم هنا مرتبط كليًا بقوله تعالى «فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ».

وهذا الغطاء ليس غطاءً كاشفًا للأشياء المادية كما يتوهم البعض... بل غطاء حاجز يفصل العين عن عوالم إيثيرية أخرى بأبعاد أخرى للزمان والمكان مغايرة لأبعاد عالمنا...

وللصالحين: يُكشف هذا الغطاء ويُرفع بشكل تدريجي... يبدأ مع دخولهم في عملية الاحتضار النشط.. والتي قد تمتد وفق ملاحظاتي من أسبوعين حتى شهرين.. في المتوسط أربعون يومًا... ومع البدء التدريجي في كشف هذا الغطاء تبدأ في إبصار أشياء لم يكن لك سابقًا أن تُبصرها... تبدأ في استشعار أحاسيس ومشاعر... تبدأ في رؤية ملامح مغايرة على الوجه... تبدأ في السموِّ الروحاني... والوصول لدرجة روحانية أعلى... وهذا الكشف التدريجي لا يجعلك ترى كائنات العوالم الأخرى فور حدوثه... إنما ترى كائنات هذه العوالم من ملائكة وجن وشياطين عند اكتمال الكشف كليًا لحظة الاحتضار الأخير... لحظة وصولك للأجل المسمَّى المؤقت بتوقيت إلهي محض... وما بين بدء مرحلة الأجل

أو الاحتضار النشط... وحتي وصولك لمرحلة الأجل المسمّى أو الاحتضار الأخير... ينكشف عنك الغطاء تدريجيًا لتُبصر روحانيات لم تكن تتخيل أساسًا وجودها من قبل...

وربما هذا ما يفسّر حالة (السرحان) الدائمة للموتى في أيامهم الأخيرة... هم دائمو شرود النظر والفكر وكأنهم يشاهدون عرضًا لم يشاهدوه في حياتهم من قبل استرعى نظراتهم وتفكيرهم.. ولا يلتفتون إليك إذا حدَّثتهم ويخرجون من حالة الشرود تلك إلا بعد النداء عليهم أكثر من مرَّة... وبصوت عالٍ.. وهذا الكشف التدريجي يسمو بروح الموشك على الوفاة... فتجده أكثر اقترابًا لله بالطاعات.. أكثر طيبة وهدوء وتقبلًا لكل شيء.. لأنه رأى أشياء أيقن من خلالها أنه يحيا بدار فناء... وأنَّ العيش عيش الآخرة... ويُعد هذا الكشف المتدرج من علامات حُسن الخاتمة التي يقرِّب الله بها عبده الصالح إليه ويُطهره ويُنقّيه قبل أن يقبض روحه إليه راضية مرضية.. لذا تجدهم يستسلمون لخروج الروح في استكانة عجيبة.. واستسلام مُذهل...

أما غير الصالحين: ـ أعاذني الله وإيّاكم ـ أن نكون منهم... فلا ينعمون بهذا التدرج في الكشف البصري... وإنَّما يفاجؤون بحدوثه التام لحظة الاحتضار الأخير... يُفاجؤون

برؤية كائنات هذه العوالم بغتة.. مرة واحدة... وفي جلاء تام... دون أدني تأهيل نفسي أو روحي لهم... فيُؤخذون على غفلة أخذ عزيزٍ مُقتدر... ويشعرون حينها أن الله أمهلهم ومكر بهم حتى إذا جاء أجلهم لم يُفلِتهم... لذا تجدهم يصارعون الموت وكأنهم يرفضون خروج الروح من أجسادهم... ويحاولون باستماتة البقاء في الحياة وعدم مغادرتها.. ولم أجد لهذه المرحلة وصفًا أكثر جماليَّة من وصف الله تعالى في قوله: « حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ».

نعود لـ «أبا الزهراء»...

إذن اتفقنا أن من يُسمح له بمشاهدات روحانية سامية هم فقط من الصالحين الذين بدأوا الدخول في مرحلة الكشف التدريجي لغطاء العين إثْر دخولهم عملية الاحتضار النشط...

وما وقر في يقيني أن إعجاز هذا المشهد واستثنائيته هو في وجود خمسة من الصالحين كلهم دخلوا مرحلة الاحتضار النشط وبدأ يُكشف عنهم غطاء العين على مستويات مختلفة... وهم الأربعة الذين شاهدوا «أبا الزهراء»

بالإضافة إلى «أبا الزهراء» نفسه... وهم البنت التي وصفها أنها في سن المراهقة... والرجل الأول عند نزوله السلّم... والرجل الثاني في اتجاه شارع رياض... والرجل الخمسيني الوقور... كلهم الأربعة كانوا من الصالحين الذين دخلوا مرحلة كشف الغطاء في أوقات سابقة فارتفعت روحانياتهم وسمت أرواحهم حتى تمكنوا من رؤية ملامح مخلوق الموت على وجه «أبا الزهراء»... بينما هو لم تكن روحانيته قد ارتفعت بعد ولم يكن الكشف التدريجي لغطاء عينيه قد ازداد بعد... فهو كان ما زال في المراحل الأولى تمامًا من الاحتضار النشط.. واقتصرت طاقته الروحانية على اكتشاف نظرة عيونهم الغريبة ولم يقوَ هو على رؤية مخلوق الموت على وجوههم.. أما هم الأربعة فكانوا قد دخلوا هذه المرحلة من فترة سابقة طويلة... وازداد تدرُّج كشف الغطاء عن عيونهم.. فأبصروه موشك على الموت ولم يُبصرهم...

مخلوق الموت؟!! نعم... الموت مخلوق يبدوا جليًا على ملامحنا لذوي الطاقات الروحانية العالية..

قال تعالى: «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ».

الموت حقيقةً مخلوق.. وربما هذا سرٌ قادم من أسرار الموت.. مخلوق له ملامح وصفات ويظهر حقًا على وجوهنا عند

اقتراب آجالنا ولا يُبصر الموت على الوجوه إلا واحد من اثنين...

- الأول: موشك على الموت دخل مرحلة الاحتضار النشط وبدأ كشف الغطاء التدريجي عن عينيه...

- والثاني: شخص أنعم الله عليه بطاقات روحانية هائلة تسمو بروحه فيرى بعين الحقيقة ما لا يراه الناس العاديُّون... أو قل يرى بعين الله ما لا يراه الآخرون... لم لا والرحمن جلَّ جلاله هو القائل في الحديث القدسي الشريف: «لا زال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه... فإذا أحببته كنت عينه التي يُبصر بها وأذنه التي يسمع بها ويده التي يبطش بها»...

وقد شاهدت بأم عيني أشخاصًا أحسبهم - والله حسيبهم- على درجة عالية من الصلاح والروحانية وقدا أقرُّوا أنهم شاهدوا ملامح الموت على وجه أشخاص قبل موتهم بينما لم يعانوا حينها من أي أمراض أو مسببات وقتية للوفاة...

وفي قناعتي أن البنت في سن المراهقة كانت صالحة وفي مرحلة الاحتضار النشط منذ فترة وقد انكشف الغطاء التدريجي عنها بشكل كبير مكَّنها من رؤية ملامح الموت

على وجه «أبا الزهراء»... وكذا كان الرجل الأول والثاني والثالث... بينما ولأن «أبا الزهراء» كان قد دخل لتوه في هذه المرحلة فاقتصرت قدرته الروحانية على رؤية نظرة الذهول فقط في عيونهم.. بينما لم يقدر حينها على رؤية مخلوق الموت على وجوههم...

و في قناعتي أيضًا أن الحديث مع الرجل الأخير لم يحدث في الواقع مُطلقًا... وإنما هي الرسالة التي أراد «أبا الزهراء» إيصالها لعلَّها تصل إلى من يفهمها... وأن هذا الحديث الأخير فقط قد دار في نفس «أبا الزهراء» لا في الحقيقة... فلأنه من الصالحين ولأنه فهم الإشارات الإلهية له.. فقد أيقن من نظراتهم أنه موشك على انقضاء أجله... لكنه لو كان كتب أن ما حدث مجرَّد نظرات... مذهولة تجاهه.. لما أحدث هذا النص كل هذه الضجة بعد وفاته.. وما أوصل حينها الرسالة التي يريد إيصالها لمن يهتم بأمره.. فأضاف إلى النص ما دار في قرارة نفسه من أن نظراتهم له كانت تعني رؤيتهم لملامح الموت على وجهه... وكأن الرجل الأخير صارحه به... حتى يصل الهدف من كتابة النص كبث رسالة أخيرة في حياته.. وحتي تُحدث هذه الضجة الهائلة التي تستمطر لروحه ملايين الدعوات بعد وفاته.. ولولا هذه الجملة ما لفت هذا البوست انتباه أحد لا في

حياته ولا بعد موته... هو ترجم فقط ما دار في قرارة نفسه بشأن نظراتهم إليه... وسبب اقتناعي اليقيني بهذا... أنهم... أولئك الصالحون الموشكون على الموت لا يصرِّحون علانية أبدًا بمشاهداتهم لسبب لا يعرفه إلا خالقهم.. هم فقط يحاولون بث رسائل ذات مغزى... وإذا كان بعض الصالحين الذين أثق ثقة مطلقة في معرفتهم بموعد موتهم لم يصرِّحوا بهذا علانية عن أنفسهم... فكيف يصرِّحون عن غيرهم؟!! لو كان مأذونًا لهم بالتصريح أساسًا لأخبروا عن أنفسهم لا غيرهم.. ولا يستقيم في صدري الصلاح مع قول رسالة صادمة كتلك في وجه أحد... حتى ولو كانت حقًّا مُبينًا.. وبالتالي استقرَّ في يقيني أنها إضافة من «أبا الزهراء» عما ترجمه في قرارة نفسه لهذه النظرات الغامضة إليه.. ولولا هذه الإضافة... لما كنت أتحدَّث هنا بشأنه الآن...

ولأن هذه الإضافة هي محور الحديث كله... فقد استخدم الراحل فيها ما يُريد إيصاله.. خاصة مع استخدام الرقم خمسين أكثر من مرة.. في وصف المسافة.. وفي وصف عمر الرجل الأخير... ربما ليبعث برسالة أنه بقي له خمسون يومًا في مرحلة احتضاره النشط...

بعد وصولي لتلك القناعة... حاولت إيجاد أي طريق

معلومــاتي يؤكدهــا... ولم يكــن ســوى طريــق واحــد أمامــي..

البحث في سجلّات الموتى بمحافظة أسيوط...

و لأن مـوت رجـال جـاوزوا الخمسـين مـن العمـر هـو أمـر اعتيـادي يحـدث في العـالم كلـه... فـكان الأجـدر البحـث في السـجلات عـن فتـاة في سـن المراهقـة ماتـت في هـذه المنطقـة في غضـون أيـام مـن هـذه الواقعـة... ربمـا مـوت فتـاة في سـن المراهقـة هـو ليـس أمـرًا اعتياديًّـا يحـدث كل يـوم... بـدأت الاسـتعانة ببعـض الصداقـات الأمنيـة في أسـيوط... وكنـت عـلى يقـين مسـبق أننـي لـو وصلـت فعليًّـا لفتـاة في سـن المراهقـة ماتـت في غضـون أيـام مـن هـذه الواقعـة.. فـإن هـذا لا يؤكـد اعتقـادي في المطلـق.. وإنمـا يدعمـه فقـط ويُقوِّيـه... بينـما إن لم أجـد فتـاة في سـن المراهقـة ماتت في هذه الفـترة في ذات المنطقة فهـذا ينسـف اعتقـادي مـن الأسـاس.. وأقسـم باللـه العظيـم ولسـبب غامـض داخـلي كان عنـدي يقـين مطلـق أننـي سـأجد هـذه الفتـاة في سـجلات المـوتى... ليـس ذلـك فحسـب بـل كان عنـدي يقـين غـير مفهـوم أنهـا لم تتـوفَ وفـاة طبيعيـة اعتياديـة عـلى فراشـها.. بـل وفـاة مفاجئـة لحظيـة جـراء سـبب معـين..

والحمـد للـه الـذي لم يخذلنـي.. وزاد يقينـي بعلمـي الـذي وهبنـي إيـاه مـن غـير حـولٍ منـي ولا قـوة... فوجـدت في

سجلات الوفيات أن هناك فتاة في السابعة عشر من عُمرها تدرس في العام الأول الجامعي بإحدى كليات جامعة أسيوط قد ماتت بعد هذه الواقعة بخمسة أيام.. على إثر حادث قطار أثناء عبورها للسكة الحديد...

وتبقى استثنائية هذه الواقعة وإعجازها.. في وجود عدد خمسة أفراد موشكين على الموت في مكان واحد وفي زمن واحد.. وكلهم صالحون... وإن كان هذا لا يُستغرب في هذه الأيام التي يُحيط بنا الموت فيها من كل اتجاه... وأينما ولَّيت وجهك في بلاد الله فثمَّ موتٌ قريب..

وأعيد التأكيد أن هذا لا يُثبت الواقعة ثبوتًا يقينيًّا جازمًا... ولكنه يدعم رأيي فكريًّا واحتماليًّا عند الناس... ويؤكده لي جزمًا قطعيًّا في قرارة نفسي... والله أعلى وأعلم.. لا يُحيط أحدٌ بشيء من علمه إلا بما شاء... ولا عَلِمَ البشر في كونه شيء إلا بما آتاهم من لَدُنه علمًا...



السر العاشر

حسن الخاتمة

«صباح الفل عليك يا مخيف». وصلتني هذه الرسالة من طبيبة رعاية مركزة فأحببت نشرها كما هي نصاً بلهجتها العاميّة:

«أنا طبيب رعاية بقالي (٩ سنين؟) وياما ناس ماتت تحت إيدي. قليل جدًّا اللي بينطق الشهادتين، لدرجة حالات الـ(MI) من كتر الألم العيان يفضل ينازع ويتفطقط ويقول «ياااما، يا أبويا» في مرة بقول لعيانة: اذكري الله قولي لا إله إلا الله. بحلقت لي، نظرة عمري ما هنساها. سبحان الله هي تقيلة فعلًا مش أي حد يقدر ينطقها فعلًا، اللهم ثبتنا على قول: لا إله إلا الله في المحيا والممات وعند البعث.

فيه حالة عمري ما هنساها، هو وبيموت، وشه كأنه حد بيخنقه وأسود خالص، عمري ما شوفت شكل حد بيموت بالمنظر ده!

دكتور زميلي مرة بيحكيلي عن حالة ماتت معاه، مجرد ما مات جسمه بدأ يتنفخ لوحده كإنك بتنفخ بالونة ومش عارفين السبب لحد دلوقتي لدرجة إن الإستاف صوره علشان يعرضه في سيمينار.

مرة حالة اتوفت عندي. الراجل كان قام صلى الفجر ونام، البنات بيقولولي الحالة (أريستد)، روحت والله لقيت

وشه منور كإنك جايب كشاف مسلطه عليه، أحط إيدي أقول يمكن النور ده جي من الشباك، بس الشباك معتم ومش معدي نور. اللهم بيِّض وجوهنا يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، وارزقنا حسن الخاتمة نحن وأنت وجميع المسلمين. (ربنا يثبتك على اللي بتشوفه ويعينك)».

انتهت رسالة د. هناء الجميلة لكنها ذكّرتني بلقطة من أجمل لقطات حياتي فرحًا وبهجة، في مشرحة مستشفى المنشاوي العام بطنطا، ولحالة لم تكن للتشريح.

دخلت مشرحة المستشفى، قابلت عامل المشرحة، اسمه (فتوح)، تبادلنا السلام، وطلبت منه إخراج الحالة من الثلاجة، فتح باب أحد أدراج الثلاجة لحالة أخرى بالخطأ، وأحيانًا يكون خطأ بسيط هو الصواب الأجمل في حياتك على الإطلاق، فتوح فتح الباب وقال: ليس هذا...

وبينما يقوم بإغلاق الباب.. وعيني لا تستطيع النظر لوجه الجثمان من شدة نور وجهه... والذي نفسي بيده ما رأيت هكذا نور على الوجه في حياتي قطّ... لا لحيّ ولا ميِّت...

قُلت: «انتظر»...

ونظرت بذهول... كثيرًا ما رأيت وجوه موتى كالبدر ليل

التمام، لا تستطيع إبعاد عينيك عنها لشدة جمالها... لكن هذه المرة... القصة لم تكن مجرد جمال... بل لا تستطيع فتح عينيك في الوجه لشدة إضاءته... نورٌ على نور... بدرٌ ساطع بقوة وكأنه القمر منتصف الشهر العربي وهو في نقطة الحضيض.. أقرب نقطة للأرض...

قاومت ذهولي ونظرت لكامل الجثمان بشكل عام، ملابس مهترئة تمامًا وبالية، عليها آثار تراب، يد مشققة أنهكت الحياة بشرتها، حذاء قديم تخرج منه الأصابع من القطوع، ومصحف صغير يظهر من جيب قميصه.

سألته بدهشة: من هذا يا فتوح؟

قال: رجل أرزقي على باب الله كان يبيع مناديل وبسكويت، وسقط ميتاً في الشارع فأحضرته الإسعاف إلى هنا.

- أرزقي؟!

كررت الكلمة وراءه وأنا في حالة ما بين الوعي واللاوعي... لم أرَ في حياتي مشهدًا كهذا أبدًا...

أرزقي؟!! بل نحن وربي الأرزقية على باب الله، هو فعلًا على باب الله، على باب الجنة، لدرجة إن نورها ورائحتها انطبعت عليه، جلست على كرسي وشردت، حقًّا... لله سُنَّة

غريبة في كونه. افرح لو كنت في بلاء وحاجة، وحين يعطيك الله كل ما تشاء من نعم ابدأ القلق حينها.... ابدأ الخوف على نفسك وآخرتك.... حين يصيبك بلاء أيًّا كان نوعه، فقد أو وجع أو فقر أو مرض، احمد ربك وافرح، أنت قطعت نصف الطريق في أمان، قطعته بهذا الابتلاء، حتى بذنوبك قطعت نصف الطريق، وتبقى لك نصفه الآخر تقطعه بعملك... وعندما تكون في رخاء وسعة وغنى ورفاهية، ابدأ الخوف، لأنك أصبحت مطالب أن تقطع الطريق كله وحدك، تقطع الطريق كله بعملك، بعملك فقط... وبلا وسائل مساعدة... وأنت ونصيبك.

حاولت البحث عن أحد من أهله... لا أحد.

بجيب بنطاله هاتف محمول لا يتجاوز ثمنه (٥٠ جنيه). اتصلت بآخر رقم قام بمحادثته... قال إنه صديقه ويشاركه السكن، علمت بعدها أنه ليس سكن على وجه الدقة... «عشة» من صفيح على أطراف مدينة طنطا... عرفت أنه لم يتزوج لضيق الحال... ولا أحد يعرف له أهلًا... عندما جاء صديقه مهرولًا... وانهمرت دموعه بحزن... قمت بتهدئته... وحاولت معرفة سبب هذا النور الإلهي في وجهه... كان يعيش مع صديقه... يخرجان في السادسة صباحًا (يسرحوا بالمناديل والبسكويت) وفقًا للتعبير الذي

استخدمه... ويقتسمان لقمة الخبز آخر اليوم... وعلمت أن (عم محمود) وهو ـ اسم المتوفى ـ لم يُغضب أحدًا يومًا في حياته... وما ترك فرضًا لله أبدًا... وما صلَّى مُنفردًا أبدًا، بل في المسجد...

نظرت لحال صديقه... كلاهما بملابس بالية وهيئة رثة، ولكنهما تحابا في الله. وصدق قول رسول الله ﷺ: «كم مِن أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبرّه»، حضُرت غسله وتكفينه، ودفنه في إحدى مقابر الصدقة وليس على لساني سوى {وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا أنا لِلَّهِ وأنا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)}.

في نهايـة العـدد الأول مـن هـذه السلسـلة (أسرار المـوت العظمــي) أود أن أشـير إلى نقطتـين..

الأولى:

أنه في الموت أنت أمام مصير من ثلاثة... لا رابع لهم...

اثنان في الجنة.. وواحد في النار...

إن كنت من المقربين... فروح وريحان وجنة نعيم..

وإن كنت من أصحاب اليمين... فسلام لك من أصحاب اليمين..

وإن كنـت مـن المكذبـين الضالـين... فنـزل مـن حميـم وتصليـة جحيـم..

إن هذا لهو حق اليقين.

فاختر لنفسك المصير الذي تريد... الذي تستحق

هـذا اليـوم آت... آت... هـو كأس أنـت شـاربه وإن عشـت قرنًـا... سـتلقاه.. سـتلقاه.. وسـتقف هـذا الموقـف...

فلا مال نافع... ولا سلطان دافع.. ولا قريب شافع.

وما المال والأهلون إلا ودائع... وهذا يوم رد الودائع.

ستلقي هذا اليوم حتمًا... ستلقاه.. ومن بعده... حفرة ضيقة، وظلمة دامسة.. وغربة موحشة... وسؤال.. وثواب... وعقاب... ونعيم... وعذاب... وإمَّا جنة... وإمَّا نار.

بيتك الحقيقي هو مستودع روحك... وأهلك الحقيقيون هم من سترافق أرواحهم روحك في مستودع واحد...

فاختر لنفسك...

مستودع في الجنة... أم مستودع في القبر.

هل تريد لموتك أن يكون راحة أبدية لك من دنيا الناس، أم تريد لموتك أن يكون راحة أبدية لدنيا الناس منك.

اختر لنفسك ما تريد... واعلم أن حياتك مرهونة بنواياك...

فأصلح النوايا... تصلح آخرتك...

والله نِعم الدين هذا الدين... بالنوايا الطيبة ندخل الجنة.

أصلحوا نواياكم... ولا تخافوا الموت أبدًا... كلكم في رحمة ربكم... لا أنتم تجار حروب... ولا سافكي دماء... ولا مفسدين في الأرض... ولكن درجاتكم... أماكن أرواحكم... مصير أجسادكم... تحددها نواياكم قبل أعمالكم...

فاللهَ اللهَ في النوايا.

ورب الرحمة... لن يُعجزه أن يرحمك... فجدد نيتك له... وأحسن ظنك فيه... وجبت لك جنته..

أما كتاب الله... والذي نفسي بيده... كتاب مُعجز... لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه... تنزيلٌ من حكيمٍ حميد... كتاب أُحكمت آياته ثم فُصّلت من لدن حكيمٍ خبير... يستحيل أن تكون امتدت إليه يد بشر... قل فأتوا بسورة من مثله إن كنتم صادقين... والله لا أجد أحدًا يقرأ هذا الكتاب بتدبر ويتشكك في دينه... إلا وتذكرت قول الله... أم على قلوب أقفالها

اقرأ هذا البيان الإلهي:

(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)

ولن تفعلوا...

سمعنا وأطعنا... فاكتب لنا جنتك... وقنا عذاب النار... آمين

الثانية:

أعـرف جيـدا أن الكثـير مـن أهل العلـم يشـككون في علامات حسـن وسـوء الخاتمـة... خاصـة مـن الذيـن تقـوم مبادئهـم عـلى فصـل العلـم عـن الديـن... فيرفضونهـا.. أو بمعنـى أدق لا يتقبلها عقلهـم العلمـي البحـت رغـم أن اللـه ذاتـه هـو العليـم.. وفي مواضـع كثـيرة في الكتـاب سُـمّي الديـن نفسـه العلـم؛ فخاطـب نبيّـه قائـلا «وَلَـئِنِ اتَّبَعْـتَ أَهْوَاءَهُـمْ بَعْـدَ الَّـذِي جَـاءَكَ مِـنَ الْعِلْـمِ»... وكان الأولى عـلى أهـل العلـم الإيمـان المطلـق بقـدرة اللـه ومعجزاتـه.. خاصـة بعـد الرسـالة الإلهيـة «وَالرَّاسِـخُونَ فِي الْعِلْـمِ يَقُولُـونَ آمَنَّـا بِـهِ كُلٌّ مِـنْ عِنْـدِ رَبِّنَـا»... ووصـف اللـه تعـالى لهـم «إِنَّ الَّذِيـنَ أُوتُـوا الْعِلْـمَ مِنْ قَبْلِـهِ إِذَا يُتْـلَىٰ عَلَيْهِـمْ يَخِـرُّونَ لِلْأَذْقَـانِ سُـجَّدًا»... «وَيَـرَى الَّذِيـنَ أُوتُـوا الْعِلْـمَ الَّـذِي أُنْـزِلَ إِلَيْـكَ مِـنْ رَبِّـكَ هُـوَ الْحَـقَّ»... وكان واجـب عليهـم الإيمـان بـأي قـدرة إلهيـة وردت دلائلهـا في الكتـاب والسـنة أكـثر مـن إيمانهـم بالعلـم النسـبي الـذي تتغـير حقائقـه ونظرياتـه يـوم بعـد يـوم.. والخضـوع لقـول اللـه في سـورة العنكبـوت «بَـلْ هُـوَ آيَـاتٌ بَيِّنَـاتٌ فِي صُـدُورِ الَّذِيـنَ أُوتُـوا الْعِلْـمَ»..

مؤخـرًا... أعـرف أحـد الأشـخاص كان بحالـة ممتـازة صحيًّـا ويسـير في غرفتـه.. ثـم شـمّر أكمامـه حتـى آخرهـا لإسـباغ الوضـوء قبـل موعـد الصـلاة المكتوبـة للاسـتعداد لهـا... ثـم فجـأة اتصـل بأحـد أولاده في التليفـون وقـال (انتـم كويسـين؟..

طيب الحمد لله رب العالمين.. يعني أتوكل على الله؟.. أنا هتوكل على الله..) ثم سقط الهاتف من يده واستلقى على الأرض فنطق بالشهادة ومات رافعًا سبابة التوحيد.. وعند موته وجدوه محتفظًا بأحد الأكياس في دولابه محتويًا على كفنه والماء الذي يُغسّل به.. والمسك الذي يُوضع له.. ووجدوا بمجرد فتح خزانته الشخصية مظروفًا بداخله ورقة موضِّح فيها كيف يكون العزاء وتوصيات بعدم إحضار شيخ لقراءة القرآن وعدم المبالغة ومجرد استقبال المعزين أمام المنزل.. وحدد فيها المنطقة التي يتم الاستقبال فيها بدقة كما أوضح جميع الأجور التي سيتقاضاها كل من يشارك في التكفين والجنازة والعزاء حتى التُّربي القائم بالدفن.. ووضع كامل المبلغ داخل المظروف.. كما وجدوا بالخزنة كل الأمانات التي حُفظت عنده.. وقد رتّبها ووضع بكل منها ورقة مكتوب عليها إلى من يتم تسليمها في حالة وفاته...

وفي اليوم السابق لوفاته مباشرة ذهب بعد صلاة الظهر إلى أحد المشاتل الزراعية واشترى كمًّا مهولًا من النباتات والزرع الأخضر ليتم زرعها جوار قبره.. وبعد أن صلّى العشاء بالمسجد أصرَّ على تعليم بناته كيفية صلاة الجنازة قائلا لهم «عشان تصلوا عليا هنا في البيت الأول».. وعندما رفضوا كلامه باعتباره من باب الفأل السيئ قال.. «لا إله إلا

الله... ما كلنا هنموت يا بنتي»... ثم قام بتعليمهم إياها..

وكان في كفنه الأبيض كالبدر ليل التمام.. لم يُرَ يومًا بجمال كهذا.. وبياض وجه كهذا... وسعادة كتلك... راضيًا خاشعًا متوكلًا على الله... وقد وفَّق الله البعض لعمل أكثر من عمرة له قبل حتى أن يُدفن.. وعند وضعه في قبره تجاه القبلة أضاء وجهه بشدة أنارت ظلمة القبر كله كمصباح.. وذرفت معها دموع الحاضرين داخل القبر من أهل وغُرباء وكُنت منهم... وكان مشاركًا في أعمال صيانة وتجديد أكبر مساجد بلدته.. ومسجده المفضل... وامتدت هذه الأعمال لسنوات... ومات يوم الأربعاء ليلًا... قبيل افتتاح المسجد بيومين... حيث كان افتتاح المسجد في صلاة الجمعة القادمة في احتفال كبير.. وعندما علم العمَّال في المسجد بوفاته... أصروا على إنهاء كل أعمال المسجد المتبقية ليلًا لتكون صلاة الجنازة عليه هي صلاة الافتتاح للمسجد أول صلاة تُقام فيه منذ سنوات... وحين أودعوا مصحفه الشخصي في المسجد أقسم إمام المسجد ـ وهو أستاذ دكتور طاعن في السن بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، وكان يضع مصحفًا أمامه أثناء صلاة التراويح ـ أنه كلما وضع مصحفًا أمامه أصيب بزغللة في العين وتشويش فيقوم بتبديل مُصحف وراء مصحف.. ولم يستطع القراءة أبداً إلا من مُصحفه

الشخصي... وكم اكتشفوا له من أعمال خير كان يؤديها سرًّا خفيًّا.. ولم يَرَ له الصالحون من رؤى إلا كلّ نعيمٍ مقيم... وأكثر من ذلك من كرامات أحب الاحتفاظ بها لنفسي... وقد شاهدت كل هذا بأمّ عيني... ببساطة لأنه... (أبي)..

عليه وعلى أموات المسلمين رحمات الله..

وإلى أسرار جديدة في عدد جديد من سلسلة (أسرار الموت العظمي).

د. محمد الشيخ

الفهرس